أنـــــا وقلمـــي في صـــور مـــن الحيـــاة

لطيفة خالد

وتبقى الكلمات هي الحارس الأمين
لشهادة حق تحملها حمامـــــــة سلام
تحلق في اعالي السماء

كلمات تتراقص مع الهواء ، تحمل فرح الطفولة تغني ألحان الحب والحنان، تتسارع الى قلوب الأمهات، وتحكي لهن حكايـة عصفور الجنة، فيتوالى التغريد والانشاد ممجداً الإلـه لحكمته وقدرته في خلق الوجود الفاني والحياة الابديه.

رحلة عبر خطوط السنوات الضوئيه

اذا ضاقت بنا الارض ، ننظر الى السماء ، نتأمل الكواكب والنجوم ، نذهب برحلة عبر خطوط السنوات الضوئيه . نحلم ونحلم حتى ننسى أننا من أهل الارض .

يا لهذه اللحظه التي تحمل كل معاني الخجل والاستهزاء من الواقع الذي نعيش دقائق قاسية حائرة هي تلك الدقائق التي تعيدنا الى أحداث تجري ونكره ان نشعر بها او ان تستعيدها ذاكرتنا .

انا من دعاة السعادة ومع هذا أحب ان اعيش الواقع كما هو ، أحب أن أرى وأختبر وألاحظ وأدقق، وعندما يمتلىء عقلي بأفكار ثقيلة متعبة أقوم برحلة الى الفضاء أو الى أعماق البحار واحب ان اعود محملة بجواهر ثمينة أوزعها على المقهورين والمظلومين .

فمن حق الانسان على أخيه الانسان أن يعطيه أشياء يملكها أو أشياء استطاع ان يحصل عليها ، أشياء أسمى أن تكون من الماديات فتهدى عن طريق إبتسامة أو كلمة .

وهذا الامر ليس سهلاً لأننا نعيش في اوائل القرن الواحد العشرين عصر الآلات والحواسيب، عصر الجفاف للعواطف البشريه، ومع ذلك يجب ان نحاول انتشال الانسان الفطري من انسان المادة والآلة .

من هنا كان من أوجب واجباتنا أن نجنّد الجمال والطبيعة والخير لخدمة هذا الهدف السامي الذي نسعى الى تحقيقه بكل ما أوتينا من قوة.

نور وإيمـان

أنوار تشع فينا تضيىء لنا الظلمات وتدعونا إلى السعادة والهناء .

إيمان أهدانا إياه الرحمن ينعكس على جميع تصرفاتنا وأعمالنا،يُبعدنا عن الضلال ويُسيرنا على طريق الصواب .والغريب في الأمر أن أكثرية الناس ترفض هذه الأنوار وتسعى جاهدة لتطفئها في ذاتها، هذا هو لسان حال أهل الأرض يجتمعون على الباطل ويتفرقون عن الحق .

لأن الباطل صوته قوي ويؤثر في أغلبية الناس وهو لا بد زائل، والحق صوته رزين ومنخفض وأكثر الناس لايفقهون كلامه، ولكنه بكل تأكيد أزلي أبدي وخالد .

للباطل طرق عديدة وللحق طريق واحد هو الاستقامة، من سار عليه وصل الى السلام الازلي وربح نفسه . أما الذي يسير على طرقات الباطل فنهايته جد محزنة. جحيم أزلي وعذاب مرير، وهو بالطبع خسر نفسه .

أبواق الشر ونعيق الضلال وزعيق الفساد تنتشر وتكثر حتى صرنا نبحث عن الأصوات الخجولة الصغيرة نتمسك بها، وندعوها

إلى محاربة كل هذا، بالرغم من أنها ضعيفة على أمل أن تقوى وتتعزز في نفوسنا، نحلم بمجتمع أفضل .

سأحاول أن انقل صوراً كثيرة تستحق أن تُدون وان ُتعرف .
رسالة إلى الاجيال عسى أن تنقلب أحزاننا أفراحاً لهم .

أغنية الحياة

في لحظات الفجر الأولى تبدأ الحياة أغنيتها فينهض الناس ليرقصوا وليعزفوا موسيقى العمل .

فيمشي المظلومون في زحام السعداء يأخذون من الشمس خيوطاً لينيروا عقولهم المظلمة وليبثوا الحرارة في قلوبهم المرتجفة .

يصنعون الراحة ليقدموها لقوافل التنابل، ويعملون بمحبة وإخلاص إلى أن يصلوا الى قمة الجبل المقدس بحيث يقفون هناك مجتمعين يأكلون ويشربون ويتحدثون . . .

وبعدها يقف الجريء وينادي، فيقف الجميع خاشعين مصلين شاكرين الله على نعمه الكثيرة بحيث ألهمهم الصبر وزينهم بحلاوة الإيمان وأهداهم الرحمة .

بعد ذلك ينامون نوماً هانئاً الى ان توقظهم قطرات الندى وأصوات الطيور وكلمات الآذان .

السجن الذهبي

ها هي السماء ترسل خيوطاً رفيعة من الماء وتخيط حبات التراب، تنسج اثواباً وأثواباً. . . نحن في بداية الخريف . كم أحب أن اشارك الطبيعة فرحتها .

الأرض ترتوي بعد طول إنتظار، وترتاح الأشجار، ويهدأ كل شيء على الطرقات فينحصر العمل في الأبنية والاكواخ . حقاً إنه عرس خريفي رائع ، أتنشق رائحة الهواء البارد وأتبلل بقطرات المطر المتلاحقة، وأكتب على التراب الممزوج بالمياه وعلى الوحول قصيدة أغنيها وأنا في طريقي الى السجن الذهبي الذي يفتقد لتلك اللحظات الهاربة مع الامواج في رحلة ممتعة عبر الفصول .

على دفاتر النسيان

عندما تداعب الشمس مياه البحار معلنة سفرها تبدأ خرافة الحب بإعلان قدومها .

فيأتي الليل العظيم ليغطي الارض وليمنحها لقب الصامتة، وتغني أوراق الأشجار بالايماء، ويسطع القمر مقبّلاً غيوم الخريف، فيمشي العاشق على الدرب الطويل ويبث لوعته وحزنه وكآبته للظلام ويبعث لحناً من قلبه الى روح حبيبته فتركض إليه هائمة به مسرورة بلقياه وتعانقه بشدة، وتمشي معه إلى الماضي البعيد حيث الذكريات الجميلة وحيث الشباب والحماسة والحياة السعيدة، وينهض العاشق الولهان ليحفر حفرةً يضع فيها أيامه التي مرت بسرعة رهيبة وكأنها لم تكن ...

وعزف الحب ورقص قلبـــــي
وطارت روحي في سماء السعادة
وضاعت مخاوفي ووجدت الأمان
وصرختْ أيامي لتنال مسامعـــك
وهربت عواطفي لتسكن في قلبك

نظراتك الحنونة تشيع أحزاني
بسماتك الخجولة تودع آلامي
كلماتك المصقولة تبدّد كآبتي

إنك في قلبي عصفور جريح
وفي عقلـــــي نســر مقيت
وفي ذاتي صـــراع عنيف
أيها الرجل القابع في زوايا الخريف
أحببتك مع الشروق وسئمتك في الغروب

سامحيني امي

في صحوتي وفي منامي، في ضميري وفي فؤادي
أجدك أحبّك أراعيك، وأعشق تراب مثواك، واستغفر الله العظيم
انني اما زلت أراك
فيا غاليتي ويا كلّ أصحابي
اقسم بالذي فطر الكائنات انني كنت وما ازال اهزأْ بالرثاء
وبالنسيان واضحك بالفم الملآن ثم اتلو وارتّل القران

ادعو لك ولجميع الأموات بالمغفرة والخلود في الفردوس مع الصالحين والصديقين، كما كنت تحبين وترغبين.

سامحيني، أمي، يوم وداعك كان جميلا، أولادك الصغار أصبحوا الان كباراً حبسوا الدموع والانفاس وترجوا المولى ان تسامحيهم.

فيا كل الحنان حسبك انك أمّ الرجال يا ملكةً على عرش الأمومة
يا أغلى النساء واعظم الامهات يا عروسا تتقن احلى اللغات
لغة الحب والحنان والعطاء
يا من لقنتنا المعرفة بالقصص وبالكلمات، ومن حزنها العميق

زرعت فينا الفرح، ومن تعبها أعطتنا الراحة
رحمك الله أمّا وصديقة ورفيقة لكل من عرفها.

رسالــة

يقودني الحنين والشوق اليك آنستي
عبر سفينة وفاء لذكرى صداقة متينة
كانت ولم تزل أكبر من الايام وأقوى من النسيان

عزيزتي

لا ولن اكون يوماً نافذة المجهول عبر ساحة الأقدار
فأنا إنسانة دماؤها ماء تروي تربة البشر الجافة
آنستي قالوا لي إنني دمية يحركها شيء إسمه الانسانية
حتى الانسانية انكروها في هذه الايام
هل للانسانية مواسم ؟
وان كان فبأي بقعه من الارض ؟ ومتى تبدأ؟
آنستي
أنت الوحيدة التي ترجمت افكاري من وحي ذاتها، ارجوك
لا تدعي الألسن الفانية ان تبدد إيماني بالعلاقات الانسانية حتى اتمم رسالتي في الحياة.

لقـــــاء

دُقَّ باب منزل الطبيعة. فتحتْ فإذا بولدها الليل. تعانقا ساعات بعد فراق مدى نهار، فأطعمته ما تبقى من الأنوار، وروته من جميع ألوان البحار حتى استلقى في سرير الراحة والسكون على أنغام موسيقى العتمة !!!

يا له من منظر رائع يسيل نبعاً متدفقاً في تربة نفوسنا، وعلى جانبيه أوراق السحر من أزهار الجمال ليعكس لنا معاني عظيمة للأمومة الصادقة ترجمتها حكمة في الإخلاص أمام مرآة القوة .

شهادة حق

وقفة تأمل على ضفاف الخلود
تتتابع الحروف فوق غيوم الحقيقة
ومن ثمّ تتناثر كلمات عبر رياح الزمن
وهكذا تتوالى القصص والأحاديث
لتتجمع في دستور إسمه التاريخ
تشهد عليه بالتوقيع المصدر إلى جبابرة العالم
حبات من التراب – تنطق باسم الأقدمين
سواء أكانوا روّاداً أم عاديين
تنطق بأفواه الأجداد بوقائع حصلت أم لم تحصل
لأن التطور يفرض علينا ذلك
هذا حسب رأي الذين تلقحوا بمدنية خادعة وحضارة مزيفة
الذين تخلّوا عن أصالة فذة، لو أبقوا عليها لخلعوا المعادن الرخيصة
وأبدلوها بذهب في الذات البشرية المعجزة.

قصة قصيرة

أبو رمزي رجل خمسيني مكافح جاهل و أميّ اعتقد أن المدارس للعلم وللمعرفة ، عمل كثيراً وجاهد كي يؤمن لعياله قوتهم المادي والمعنوي .

جرّ العربة الثقيلة ، نادى بأعلى صوته يدعو الناس لشراء بضاعته ، عمل قبل شروق الشمس حتى غروبها .كبر الأولاد وأخذوا لأنفسهم مقاعد لا بأس بها في مجتمع تتحكم فيه المظاهر المخادعة .

نسوا شقاء والدهم وتركوه وراءهم، أداروا ظهورهم لرجل عاجز أصبح يجر نفسه جراً كما كان يجر عربته، فكأن الزمان أبى إلا أن يقو م بعمليه الجر طوال حياته .

وإذا ما مرّ في بال أحدهم أرسل إليه القليل القليل مما يجب أن يرسل إليه كي يعيش حياة حرة هانئه.

يا لسخرية القدر وقد أصبح المجاهد انساناً منبوذاً هو ليس وزيراً ولا ملكاً ولا حتى أميراً بل فقيراً معدماً سعى جاهداً لتربية أولاده وتعليمهم حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه.

صدم هذا الرجل بقصة التضحية فأيقن بأنها خرافه كبيرة،

وأن باب المعرفة مفتوح الذراعين لكل من يرغب من بني البشر، وأن العلاقات العائلية هي أقدس العلاقات وأسماها على الاطلاق، وعلم هذا المكافح أن المعرفه لهذه الامور تكمن في ذات الانسان فاذا ما أراد أن يعرف تفتح له المعرفة أبوابها وتحصنه وتدله على اساليب الحياة وترشده الى الخير والصواب وتجعله يميز بين المقبول والمرفوض وتعطيه أشياء وأشياء لا يمكن أن يجدها في الكتب ولا عند المعلمين فالحياة مدرسة .

الصفحة البيضاء

اذا كانت الحياة تحمل في قلبها كل الفصول، وكل فصل يثطق بلغته الخاصة، يبقى للانسان العلاقة الوثيقة مع الطبيعة.

الشتاء أيامه ثائرة على كل شيء العواصف تزمجر فيه، والامواج تتلاطم، والامطار تتساقط، والأشجار تتعرى، والارض تتحول الى بحيرات وانهار، وبعد كل هذا يأتي الربيع ومعه الخيرات والسلام فتعطي الارض اجمل ما عندها من ازهار وورود، وتكتسي الاشجار، وتصفو السماء، ويهدأ البحر.

فالانتقال من حا لة إلى اخرى أمر طبيعي، أما ان تكو ن المسالة هموماً ومشاكل وعذاباً، وفجاة نشعر بالفرح والامل والامن والامان. انه حقا امر عظيم.

إذ اننا على صعيد الوطن نشعر باننا نعيش مرحلة الانتقال من الحرب الى السلام، وعلى الصعيد الشخصي مرحلة النضج الفكري والعمق الانساني.

سيضيق التاريخ بكرامتنا، وسيوقع الجبابرة على ورقة عظمتنا لأننا الشعب الذي انتصر على ذاته.

طفلة من قانا

عندما تنطق الطفولة يصمت الجميع ، فكيف بها عندما تغنّي فيصغي الجميع لصوت أخّاذ يستصرخ الضمائر الغافية، ويوقظ الإيمان في القلوب القاسية، ويوقظ الارواح النائمة.

وعندما تسكت تتدفق من أعينها نظرات ثاقبات معاتبات فيكون سكوتها أبلغ من العويل و أقوى من الصراخ .

رأيتها تبكي، عينان غارقتان بفيض من الدموع تعانق لعبة مكسورة، تتوجع وتتألم وتئن بصمت وكأن صمتها صراخ يدوّي في الاعالي وفي الاعماق. سألتها: لماذا تبكين؟ رفعت رأسها وكأنها تريد أن تقول: قانا، الجنوب، لبنان. وماتت قبل الأوان طفلة من جنوب لبنان، وكأن لا حياة لأطفال في الجنوب وقدرنا أن يقتل الأطفال وتشوه البراءة في لبنان وأن يتلاعبوا حتى بالأحزان ماتت طفلةٌ جنوبيه تعانق لعبتها المكسورة وتتنشق رائحة التراب الزكيه ماتت وكلمة النقمة على العدو عالقةً في فمها، ماتت الطفلة القانية وهي تنعي الضمير العالمي وتنعي حقوق الانسان والمعاهدات والاتفاقات الدوليه .

حقاً إنه الوجع الأكبر! كومة من البشر قلوبهم ميتة، نفوسهم محطمة، عقولهم سجينة مكبلة بقيود الوحشية. هم يدعون أنهم يريدون السلام وهم الأبعدُ عن منطق السلم، لذلك نحن نحيلهم إلى

المحكمة نوجه لهم تهمة الوحشية ونحكم عليهم بالفناء لأن الموت للبشر وهم غيرآدميين. ولمن يريد أن يعرفهم.. أفعالُهم هويتهُم.......

أمومة

ولدي أمل حياتي

أهبكَ كلماتي المفعمة بالمحبة الخالدة المنبعثة من قلبي، الملتهب بنار الشوق لرؤية ما أبدع الله من صنع في وجهك، عن قرب هذا الوجه الذي زادني إيماناً بالحياة وما فيها عندما رأيته لأول مرة، لأنك حملت إليّ بمجيئك لهذه الارض إلهاماً بقدرة الخالق وتذكيراً لما نسيته من آياته .

جئتَ وملأتَ ذاتي بعد ان كانت تفرغ . فتحت قلبي ليتغذى من فُتات مائدتك الملائكية بعد أن قربت من الهلاك، رويت ظمأ روحي التي اشتد عطشها مرات ومرات في حياتي . . .

حياتي

شرعت بالكتابة بعدما افترقنا بذهابك الى الخارج لمتابعة دراساتك العليا . . . وأتمنى من الله ان يكلل هذه الدراسة بالخير واليمن والبركة وإنه على كل شيء قدير .

ولدي الحبيب

الحياة ليست دائرة أو طريقاً وإنما هي لحظة نمر بها عبر أيامنا الأبدية، ولكن لهذه اللحظة مفعولها لأنها حاسمة. ولا تعتقد يا بنيّ بأنها طوع إرادتك لا لشيء ولكن إرادة ابن آدم تخللها الشيطان الذي

حدد مصيرنا بعيشنا في هذه الارض، ولكن الله غفور رحيم ورحمته أكبر من ذنوبنا فقضى ان يكون الناس أنواعاً وأنواعاً فمنهم من يسن الشرائع ، ومنهم من يمارس الانسانية بدون اقتناع . . . ومنهم من يدوّن أعمال غيره متناسياً أعماله. سبحان الله رب العالمين « إن له في خلقه شؤوناً.

ولدي لا اريد أن افرض عليك شخصيتك وإنما أريد أن أصور لك بعض رغباتي كما عودتك دائماً أن لاتفعل شيئاً أو ان تمارس شيئاً إلا وانت مقتنع تماماً بما تقوم من أعمال، لأن القناعة طريقنا الى الضمير، والضمير وسيلة وهبنا إياها الله للراحة .

أريد أن أوقظ فيك المسؤوليه لتتحمل أعباء ذاتك ومن ثم من حولك بقدر استطاعتك.

ولدي.. كن رحب الصدر للكبار كما للصغار، تقّبل الإساءة بمساعدة من أساء إليك بأن تجعله ينسحب من دائرة الأخلاق الوهمية التي ربما وضعه فيها دستور الظروف القاسي. طبعاً هذا بتعبير المجتمعات الحاليه ، وكن له أخاً بالانسانية ولا تعامله من خلال معتقداته الخاصة كالدين والمذهب وغيرهما ... بل عامله على اساس أن الله وهبه الحياة كما وهبك إياها .

انا لم أفرض عليك ان تكون مثالياً مع كل الناس، وذلك

لأن الناس درجات، فاسأل الله يا ولدي أن يهديك إلى معرفة أنواع الأرواح التي حولك وعلى ضوئها تعاملْ معهم .

حياتي... كل القيم والمبادىء تنهار أمام شيء إسمه الأنانيه، إنها سلاح فتاك يهدم، وانا لا أرغب في ان تكون هداماً ولو بأحقر المواقف وذلك لأن الآية الكبرى من الماضي والمستقبل والحاضر تستطيع ان تنير حقيقة ساطعة ليس لذاتك وحدها بل للبشر جميعاً وهي أن البناء فوق أي شيء إسمه بناء، ولكن الهدم ولو للشر اسمه هدم، والدليل ان الانسان كلما أنعم الله عليه بيوم جديد كلما زادت معرفته واكتشف اخطاءً وحقائق كما اكتشف شيئاً جديداً لا يعرفه. ومن هنا كان على المرء أن يتعلم من أغلاطه. هذا لا يعني أن أرى الشر فأجربه لكي يعلمني بعدها الخير بملء إرادتي، ولكن اشياء وأشياء لا نأبه لها أحياناً تقودنا نحو الغلط الذي به نستطيع أن نقوّم أعمالنا ونجعلها تسير نحو الخير والصلاح .

في الحقيقة إن كل ما قلته لك ثمار قطفتها من شجره نمت مع العطش من روح صاعدة الى اللانهاية . . . من ذاتي .

إني اشعر اليوم وأنا اكتب هذه السطور وكأني محاطة بهالة من الأمومة المقدسة فلا تلمني إذا تجرعتها جرعات . . . جرعات لأنني حرمت منها كثيراً

على أمل أن تعود إلي بعلم كثير وبإيمان كبير . . .

سراب

في ليلة مقمرة نزلت الى الشاطىء علّني أفرغ ذاتي بين الأمواج لتسافر الى حيث الأمان وإذ بي اشعر بروح غريبة تخشى على الاقتراب من سفينه بلا شراع فسرت الى داخلها وكلّي فضول في أن احادث تلك الروح، وأن اسمع لحن الحياة من على سطح السفينة. ألقيت بذاتي على مقعد خشبي وشكرت الليل على هذه النعمه.

بعد لحظات رهيبة قالت نفسي من سيبدأ بالحديث أنا أم الروح الطيبه؟ فما إن أنهيت فكرتي حتى تسللت إلى أذني نغمات ساحره تسألني عما أريد.

فرحت أبحث في داخلي فلم أجد جواباً وشعرت بثقل جسدي فكسرت باب القفص وطارت روحي . . . طارت لتبحث على الاجابة، وحلقت في الأعالي، وحطت فوق الأشجار العالية، وعاكست العاصفة في سيرها، والتقطت رذاذ الرحمه وعلمت الكثير أكثر مما تريد وعادت إلى حيث الروح الغريبة وقالت: أيتها الروح لو علمت بوجودك على هذه الأرض لما شعرت أبداً بالوحدة ولا بالخوف. أيتها الروح خذيني معك عساني أحقق ذاتي فوق سفينتك واعزف معك لحن الخلود أرجوك لا تتركيني غريقة تقذفها الأمواج في الليل على الشاطىء هدية للطيور الكاسرة وللحشرات القذرة في الصباح . أتمنى عليك أن تسمعيني وأن تريني لا لأنك خرساء عمياء

لكن لأنك مَن توّجني ملكة حق على مملكة الوجود، ولأن النجوم عيونك والصدى آذانك .أيتها الروح دعيني أمضي معك على هذه السفينه علّني أصل الى درب العطاء . . .

واستيقظت وأنا مكفهرة حزينه على ضياع أجمل و أعظم حلم رأيته في حياتي . وقمت متعبة أمضي في طريقي بسكون بليغ وصراخ حكيم . . .

السلام

أغوص في بحر الاسرار أفتش عن حلية فقدناها
أنسل من الشمس خيوطاً أصنع منها رداءً لأنير درب الحياة المظلمة. لعله الأمل ولكن ما النفع اذا انتهت الخيوط وضاع النور .من أين نجد الاقبال على الحياة ؟

لقد وصلت الى ما قبل الأعماق ببضعة أمتار ولم اجد ما أريد.
في الحقيقه لقد رأيت الكثير وتعرفت على الكثير في بحر الأسرار ولم أجد حليتي.

هل يمكن أن تسرق مني ؟ لا ! انها حياتي لا بل روحي فلماذا تسلبني أيها القدر كل شيء أحبه؟ انا لا اريد من هذه الحياة إلا حليتي .أعترف انني أضعتها ولكن عندما فطنت إلى قيمتها عدت الى البحث والتنقيب علني أجدها وأقسمت على ألاّ أتوقف عن الرحيل طالما أن حليتي الغالية مفقوده مني. لا تستغربوا فهي موجودة لذلك أطلقها دعوة عامة فلنبحث جميعاً عنها علنا نكفر عن خطايانا ونسترجع حياتنا.
هل عرفتم ما هي الحلية؟ انها السلام . هل رايتموها؟ أرجوكم باسم الانسانية ان تبحثوا معي علّنا نجدها ونعود بعدها إلى العالم الذي هزأ منا، نعود واكليل الغار فوق رؤوسنا، نعود و شعار النصر

يغمرنا. نعود والسعاده الكلية ترفرف من حولنا، نعود ونقول للعالم أجمع . نحن رواد السلام . ألا يحق لنا أن نتمتع به وأن نصونه؟ لذلك أتمنى عليكم ألا تقتلوا لبنان وألاّ تشوهوا الجمال وألاّ تطفئوا النور، فإذا انطفأ لبنان من سيشع عليكم، ومن سينير دروبكم؟ ساعدونا لنجد حليتنا المفقودة .

رحيل

جاءني اليوم يسألني عن طفلة ربيعية
عن أحلام وردية
عن ساعات جوهرية
فقلت له قتلت الانسانية
وعهد الصبا ولّى هارباً
ولن يبقى شيء الا عابساً
حتى الذكريات ذهبت والأماني اندثرت
فمن أين لك ان تسألني ؟
وأنا اليوم أنشد الخريف لحني
وأعبث بالأوراق الصفر وحدي
فمنذ رحيلك و أنا افقد كل يوم عمراً مضى، حتى أمسيت كالصدى أرجّع الاصوات للناس.
فمنذ أن رحلت حتى اليوم وأنا أدندن للحزن بأسى وأصافح الحياة بندم وأردد كلماتك المعهودة :
اذا ما انتهى الصفاء ومات الوفاء وعمّ البلاء فلنسرع الى الفناء
لماذا تسألني عن أشياء خطفت
ولا تسألني عن مريض يتلوى ؟
عن وطن يزول؟
عن أرض تموت؟

آن لك أن تعلم أن الجفاف حلّ في القلوب ، وأن الإلحاد انتشر في النفوس

آن لك أن تعلم أن الجمال استقال، وأن الحب انتحر والسلام انتهى .

آن لك ان تحطم القضبان وتكسر القيود وتطير لتنجد الحسناء من براثن الوحوش .

امراة قروية

وأنا في طريقي الى البساتين ،لأعبَّ الراحة بكل ألوانها وأشكالها ، ولأتنشق الهواء وأمجد الخالق وأَتمم أروع علاقة بين العبد وخالقه في أحضان الطبيعة .

رأيتها امرأة كأنها من العصور الخالية، تشمّر عن ساعديها أكمام قميص مزركش وترفع وسطيتها (تنورتها) بطريقة ساحرة لتكشف عن سروال فلكلوري رائع ، وأمامها طبق ملآن بالطحين راحت تجلجله حتى أصبح دائرة مجوفة ثم وضعت الملح والخميرة، وراحت تحرك يدها وكأنها لولب، وبعد ثوانٍ بدأت عملية مزج الطحين بالماء، وبعد ذلك راحت تكبس المزيج حتىً كأنها مصارعة في حلبة المصارعة مع العلم أن خصمها لين ومطواع يتلقى الضربات بدون مبالاة لا بل ممتناً وشاكراً هاتين اليدين اللتين تصنعان منه عجيناً ذا فائدة بعد حوالي النصف ساعة انتهت الجولة الاولى طبعاً بإنتصارها، فوضعت الطبق في زاوية الدار ثم غطته بغطاءٍ معدني ثم بغطاءٍ صوفي سميك.

ثم قامت إلى اعمالها الأخرى. تنظيف القن ومحادثة الدجاجات ولملمة البيض ووضع الحب لهن والى تأديب الديك المشاكس، الى حلب البقرة، ثم الى ترتيب الغرفه والى . . . . الخ.

الآن قد حان وقت الجولة الثانية وبدأت عملية صنع الأرغفة،

بعد أن وضعت الحطب اليابس في التنور نادت الجارات لمساعدتها، عملية رائعة جداً من تقطيع العجين قطعاً متساوية الى ترقيقه ثم الى هلَه حتى وضعه فوق الطارة والى لصقه على حافة التنور وسط اللهب . وهكذا دواليك حتى تحول العجين كومةً من أرغفة الخبز الشهية . وبعد شكر جاراتها جاءت بالبطاطا وقشرتها ثم قطعتها ووضعتها في صاج كبير فوق موقد الحطب لتقليتها وبعد برهةٍ من الوقت سكبت الطعاَم في صحنٍ معدني ثم وضعته مع الخبز فيً صرة من القماش وحملت الصرة فيً سلة على رأسها واتجهت صوب الحقل لتتناول لقمةً هنيئةً مع رفيق العمر وصاحب الدار .

حقاً إنها صورة رائعة أهديها لكل إنسان قلبه عامر بالايمان وبالمحبة، الايمان بالله والمحبة للناس .

السعادة الحقيقية

نحلم ونحلم وتسيرنا أحلامنا صوب الشمس ، نأمل ونتأمل وتأخذنا آمالنا نحو القمر، نتمنى ونتمنى وتطير أمنياتنا إلى النجوم، فالتمنيات والآمال والأحلام كلها خيالات إذا ما تحققت نصبح سعداء.

ونداء الخيال يتحول إلى حقيقة أكيدة نعيشها عندما ترعد الآمال وتبرق التمنيات وتتساقط الأحلام على ارض الواقع، وأنا صغيره كنت أفكرو أفكر وأفكر وأنا أدرس، وأنا اشرب، وأنا اركض لا أتوقف عن التفكير حتى في منامي الى أن صرت لا أميز بين أحلام اليقظه وأحلام المنام .

صدقوني صرت طبيبة ومحامية ومعلمة وفقيرة وجميلة وقبيحة ، انتحلت كل الشخصيات وعملت في كل المهن وتبادلت المواقف والآراء.

كانوا يتعجبون كيف أمضي أوقاتي وأيامي وأنا دائمة العزلة، وكنت أضحك لأن رفاقي وأصدقائي كثر إنهم أفكاري وأقلامي وكتبي ودفاتري .

ولكن كما أعتقد أنّ لكل منا حلماً كبيراً إما أن يحققه فيسعد

وإما أن يفشل في تحقيقه فيشقى ويحزن ويصاب بخيبة أمل . . .

وحلمي الكبير أن أصبح مصلحة اجتماعية، فمن خلال هذا العمل أدخل البيوت كلها، وأمشي في الشوارع جميعها، وأتسرب الى النفوس والعقول، وأخرج من كل مشكله مرتاحة لانتصاري ولانهزامي معاً فالإنسان لا يستطيع ان ينتصر دائماً ولا أن ينهزم دائماً . فالحكمة الإلهيه قضت على الحياة أن تعطينا تارةً وتأخذ منا تارات أخريات .

كنت أعيش كل مشكلة، أتحسس معاناة أشخاصها، وأعلل واستنتج واحلل وأعطي كل واحد مبرراته، وأستنبط الإيجابيات وأتوغل في الذات الإنسانية الجوهرية، أتعلق بالخير وبالحب والجمال وابدأ بهم مشواري وانتهي بألم ينخر رأسي فتتثاقل أفكاري وترتاح نفسي و أنام . . . لأنهض في اليوم التالي على صرخات وأوجاع وأحزان وآلام . . .

فعلاً درست العلوم الاجتماعية، وعينت في مجلة في باب مشاكل وحلول، وفتحت بيتي مركزاً لجميع الناس كي أساعدهم على حل مشكلاتهم، وعانيت كثيراً وما زلت من الكثيرين الذين ضاقت بهم عقولهم فاعتقدوا أنني أتسلى أو أضيع وقتي، ولم أكن لأرد أو أصد أحداً فتحملتهم جميعاً، ومن هؤلاء شخص فريد من نوعه ليس في مجتمعنا فقط . وانما في العالم كله هذا ما اعتقدته بادئ الأمر . . .

هو فعلاً وحيد عصره وزمانه هذا الوحيد مشكلته هو أن لا مشكلة لديه هو يبحث عن المشاكل وهي تبتعد عنه فجاء يطلب مني أن أضعه في مشكلة ومن ثم أساعده كي يخرج منها . . .

وتعرفت اليه لأعرف من أية طينة هو. بدأ قائلاً أنا مخلوق مكتف مللت كوني شخصاً يحقق ما يريد ويحصل على ما يطلب، وأريدً أن اعرف ما هي المشاكل و أتحقق من عملك في حلها ... فهل لك بمساعدتي .

هل هو يستهزئ بي أم بنفسه أم بمشاكل ومصاعب الناس؟ ولم يكن يخطر ببالي ولو للحظة واحدة انه سيكون هو مشكلتي، وانه سيغير مسار حياتي، دهشت بشخصيته، تهجمت وشرحت وأسهبت، وبعد وقت تعبت كلماتي وشعرت بالجهد الكبير الذي بذلته. اجابني قائلاً: حقاً أنا لا أسخر، ولا من طبعي السخرية وخاصةً من إنسانة نبيلة تساعد المقهورين وترشدهم وتدلهم على طريق الصواب، إلا أنني طبعاً، ومن خلال قراءاتي للحلول التي تكتبينها ومن اطلاعي على إنجازاتك مع الأصدقاء أحببت أن أوضح لكِ أمراً وهو أن مشكلتي، فعلاً أكبر من المشاكل جميعها.

أنا إنسان... لا تعتقدي أنه ليس لدي مشاكل، وانما أعالج مشاكلي كلها بالتقبل والاستسلام لمشيئة القدر التي هي من صنع الله سبحانه وتعالى. إذا مات قريبي اقول رحمه الله وأعتبر انها سُنة الحياة،

وأشعر بقليل من الحزن، واذا تعرض أحدهم لحادث اقول الحمد لله إنه القدر وإذا فاتني محبوب اعالج الأمر بكثير من البرود. يعني انا لا انفعل لأحداث الحياة السعيده والحزينه على السّواء . أو بالأحرى انفعالي ضعيف جداً بالنسبة لانفعالات الناس كل الناس. أقنع نفسي بأنني مؤمن. تصوري حتى لو أني ارتكبت أخطاءً كثيرة، أستغفر ربي وأعتبر أن الامر كله مكتوب ومقدر، ولأننا مهما أوتينا من العلم فلم نؤتَ إلا القليل القليل. لا ولن أندم على أي لحظة مررت بها، ودائماً أجد مبررات لكل من يرتكب الأخطاء. هذه النقطه ألتقي بها معك . أقول لك إننا جميعاً نحن البشر جزء واحد لا يتجزأ إلى يوم القيامة . أعمالنا تدفع بعضها البعض، فمنا الضعفاء، ومنا الأقوياء، ولا يغرق بالأحزان إلا الضعفاء ولا يتغلب عليها الا الأقوياء .

فكلما استصغرنا المشكلة في نفوسنا تغلبنا عليها وتخطيناها، وكلما استكبرناها صرعتنا وتغلبت علينا .

منذ ذلك الوقت نحوت هذا النحو لحل مشاكلي .

وتعلمت من هذا الشخص مبادىء كثيرة كانت في ذاتي واستعملتها واستغليت مواهبي في التعامل مع الناس وشكرت الله حقاً، لكل واحد منا موقعه ولكن لا تستغرب أن يتعلم العالم من الجاهل، والمفكر من المجنون .

أحببته ولكن

الحب خيط من أشعة شمس المحبة ، وذاتي لا ينيرها خيط لأنها تطمع بالشمس كلها لتستيقظ أزهاري ولتصحو حدائقي . بخيط واحد تبدع الخلائق بأسرار وأسرار ...

فكيف بالخيوط كلها وهي التي تصنع في الذات البشرية وحي الخلود! ولا أغالي في ذلك فالأشياء تفنى والإنسان يموت والوجود الآني يذهب وتبقى المحبة. .

هذه هي الكلمات الاخيره لرجل اعتقدت لوهلة انه العمر القادم والحبيب المنتظر .

تعرفت إليه في الجامعة، بادئ الأمر كان زميلاً ودوداً يساعد رفاقه ورفيقاته في نقل المحاضرات وفي حجز الأمكنة ...

قروي ... البساطة والطيبة عنوان شخصيته، مجتهد ومتفهم ولائق، عندما أتحدث اليه وأسمعه اشعر بعمق أفكاره وشفافية روحه وقوة معتقداته..

تلاقينا على الأهداف النبيلة: الايمان بالله وحب الوطن. ولكن الطامة الكبرى هو أنه من غير ديني. حاول كثيراً أن يطلعني على دينه

ومعتقداته ومبادئه فتصديت له بالمثل، قرأ القرآن وحفظت الانجيل. حاولنا ان نصنع ممراً بين الأديان للتفاهم والانسجام خاصة واننا نعيش فترة بعد الحرب، تلك الحرب التي ادعوا بأنها بين المسلمين والمسيحيين ... وكل المحاولات لم تزد كل واحد منا إلا تمسكاً وتصلباً والتزاماً أكثر بدينه .

وعندما أسمع اليوم عن الزواج المدني أهزأ بالمتحمسين لهذا القرار، وأسخر من قوم يعتقدون ان البيوت تبنى بالأضداد منهم يحاولون مخالفة الأقدار ويتجاهلون تماماً بأن التوافق هو أساس العلاقات الانسانيه وخاصةً الزواج، هذه العلاقة المقدسة التي تجمع بين الرجل و المرأة ...

ليس الفشل بهذه العلاقة يجعلني أصرح بهذا الموقف وإنما المعاناة الحقيقية والتجربة الحية. كانتا الدافع الأقوى لأقر بأن الانسان يبقى للنهاية يعيش بدوائر مفروضه عليه العائلة والدين والمجتمع والبيئه واللغة... والتوحد لا ولن يكون على هذه الأرض .

نبتة نمت مع العطش فنشأت
قويه وأَثار الجفاف في كل ما فيها . . .

حاولت الانتحار ولكن حكمة الله زرعت القوة في قلبها وفي أيدي الأَطباء أَنَقذتها بادرتني قائلة : أَحب الحياة بكل معانيها ومع أَنني لم أَحقق في حياتي كل ما أَتمناه إلا أَنني خرجت أَو بالأَحرى سأخرج من هذه الدنيا بدون سخط ولا حزن وذلك لأَنني عانيت الكثير من الحواجز المصطنعة ومن التقاليد الزائفه . .

ماذا عساي افعل هل اقف وأَتلقى سهام اليأس وضربات الفشل ولا يؤنسني في وحدتي إلا إيماني حيث يدعوني إلى الصبر والصبر ثم الصبر...

منذ ولادتي كانت الحرب بيني وبين الحياة فأَنا أَعاني من خيبة أَمل والدتي في وجودي كوني أُنثى. وتوالت الخيبات فنشأت بلا علم ولا عمل ... ولا زوج ولا عائلة ولا صديق ولا أَحد يفهمني، فبت خزائن تعلق فيها الهموم مع كل انواع القهر والأَسى والأَلم .

انا أَعيش في غربة دائمة ووحشة أَبدية . ولو خيرت بين الفناء ووجودي لأَخترت العدم على الحياة في عالم مليء بالوحوش ومحاط بالشياطين. لا تعتقدي بأَنني نذير شؤوم ولا صوت بوم انما انا مخلوقة اعطاها الله موهبة قوية وفهماً عميقاً لنفوس البشر، فانا لا أَصدق الكلمات ولكن أَجمع المواقف من العيون والحركات ومن

خلال احساس رهيب بمدى الخير والشر في ذات الانسان، فانا لا أثق بأحد، ولا اعترف بوجود النفوس الطيبة، والواقع الحاصل هو دليل على صحة موقفي ...

الخير اختفى لا بل انعدم، فما معنى اذاً أن ينتشر الحقد ويعم الكره بين الناس ويتوج مجتمعنا بالباطل ...
حاولت أن أموت. يا رب لماذا لم تأخذ أمانتك وتريحني من عذابات الدنيا ؟

فأنا ما زلت غارقة في دنيا الأحزان، سجينه وراء القضبان، محطمة في قلبي، مهزومة في افكاري، مجروحةً في اعماقي، مكبلة بقيود الآلام .

وبعد لحظات صمت ثقيلة ... أجبتها قائلةً : لا تخافي يا أختاه، فأنت لست إلا زائرة ومهما يكن فمشوار الحياة قصير ولا تأسفي على عمر مضى ولا على ايام ستأتي، فهذه الفانية لا تستحق أكثر مما تضمرين لها من ازورار وعتب وابتعاد ومقاطعة، ولاتغرقي يا اختاه بالندم، وارحلي مع الزاهدين، واحملي راية السلام الذاتي لأنها الوسيلة التي نعبر بها إلى شاطىء الامان... إلى العالم الآخر.

إبتهالات عاطفيه

أغوص في بحر الحياة أبحث عن القلوب الضائعة ، القلوب التي نقشت الايمان في داخلها فترجمت دقاتها إلى افكار ذهبية بحيث تبقى كما هي ولو بأحقر الأمكنة او بأضعف المواقف .

فأناديها اين أنت ؟ إرجعي إلينا وعلمينا معنى الحياة وارو ِ لنا القصص الخالدة وحدثينا عن لغة الاستمرار وعن أسرار البقاء .

فلا أرى إلا كومات من النفايات تسد علي الطريق وتمنعني من التوغل في العمق الاسطوري الخالد، فهو بالرغم من بعده عنا إلا انه مكان للحقيقة الغاليه التي تتمثل بالقلوب الطاهرة والنقية والتي نفتقدها اليوم في زحمة الحياة الزائفة .

آه من نبع نضبت مياهه ، وأواه للغة فقدت ابجديتها، وأيا قلبا لحقبة خسرت رموزها فما بقي لنا إلا انً نرثي الجمال والابداع والخيال...

أراك في الأساطير أمير مملكة الحساسين ترقص تغني تطير ...

أراك على صهوة الجواد تنشد الحب نغمات تحيي أحاسيس الفؤاد...
أراك في البساتين بين الورود والرياحين
ترسل نظراتك الخارقة فترتاح نفسي الحائرة
أراك وراء الزمان تنادي من أعا لي الجبال
أسمع كلماتك الساحرة فتصحو أيامي النائمة
على حقيقة جاحده فأراك في الوجود
راحة نفسي الحزينة وبسمة أوجاعي الأليمة
مع انك خرافة حب هي عن الحقيقة ابعد ما يكون
سأبقى أراك في المجهول.

...و ماتت قبل أن تولد

يا قلمي، يا مترجم أفكاري وكاتم أسراري،
يا قلمي، يا مجسّد أحلامي ومحقق آمالي،
يا قلمي أطلقْ وشوشاتك الهمجية فوق أوراقي السحرية
يا قلمي أعلن عن قصة حبي التي حملت الكثير من المعاني السامية، اكتب بأبجديه نورانية واسترسل بكلماتك الابداعيه. بالله عليك تحدث وأفض بأحاسيسي وبمشاعري الخفية ...

كنت تحسدين النسمات التي تلفح وجهه، والأكواب التي تلامس شفتيه، وتعشقين النظرات التي ترسلها عيناه، وتخافين العثرات التي تبعد روحك عن مناجاته. وحتى الراحة لم تعرفيها إلا بوجوده .

كان هدية عمرك ومكافأة وجودك ، حركاته ،كلماته ، عفويته تملأ عقلك فتتخيلينه بحزن وتستذكرينه بفرح وتخجلين من ذاتك إذا لم تَفِهِ حقه من الحب والاحترام والتقدير. وبما انه لكل علاقة عاشق ومعشوق، وبما انك وقدرك تتجاذبان العتاب والملامة وكتب عليك ان تغني أمام الطرشان وترقصي أمام العميان، ضعي باقة ورود ورياحين أمام قصة مليئة بالنهايات الحزينة ومفعمة بالعواطف الحكيمة ليبقى هذا الحب شعلة نور تضيئ ارض المقهورين والتاعسين والمظلومين .

انتهت قصتك قبل ان تبدأ، وغاب عن سمائك القمر، وأضحت أيامك ظلمة دامسة، وهربت وعودك إلى شاطئ النسيان، وكتبت فوق الرمال اسمين، ورسمت قلبين، وأبحرت مع روحين، أما أنا فجمعت أشلاء قلبك المحطم الذي انفطر بين يدي إنسان يتقن كل اللغات ويجهل لغة الحب. وهكذا ماتت قصة حب قبل ان ترى الحياة وتتعرف إلى السعادة وتعايش الفرح والهناء ....

أسئلة إلى الرياح

سألت الريح ما بالك تغضبين تثورين تهدأين؟فقالت: أنا خير في غضبي، وبركة في ثورتي، وراحة في هدأتي.

ثم سألت المطر ما بالك تهطل تارة بغزارة، وتارة قطرات، وأحياناً تحتجب عنا؟

فقال لي: كثرتي خير، و قلتي بركة، وبدوني راحة .
ثم سألت الأرض: هل تحبين الريح والمطر؟ فقالت لي هما رسالتان من الله فيهما الخير كل الخير والبركة كلها والراحة للانسان.

ثم سألت نفسي: أيا إنسان أولا تشكر ربك الذي خلقك وسخر لك كل هذا حقاً انك ظلوم كفور .

اذا ما جاءت الريح قويه وهطلت الامطار بغزارة قال ما هذا لماذا تهطل الامطار؟ لماذا تهب الريح؟ ألكي اقبع في بيتي قرب الموقد؟ واذا احتجبت الريح وغار المطر قال: يا رب نريد الرزق نريد الخير نريد البركة .

الحب الممنوع

هو ليس مستحيلاً ولكنه غير مسموح، او بتعبير آخر هو مرفوض لاعتبارات طبقية: الغنى والفقر، العلم والجهل، الجمال والقبح، الشباب والشيخوخة، والى ما هنالك من فروقات جوهرية مادية...

هو صاحب العمل والمدير والمدبر لشؤون المؤسسة وهو الآمر والناهي وهو المحور والمهم و ....

وهي خادمة وضيعة تنظف وتلبي طلبات الموظفين، ولكنها ساذجة بسيطة، طيبة القلب، واعية، جاهلة. تسألون: كيف؟ ولكني أقول لكم: إنها من بؤرة الجهاله التي تعم المجتمع الذي تحيا فيه. هذه الفتاة كونت عقلاً متفتحاً ونيراً ممكناً لأنها تقعد في الأسفل وتأخذ من الكثيرين حولها، وتتعلم منهم، وتجمع مواقفهم وتصوغها في قالب الفهم لتقدمه لشخصيتها العنيدة الصلبة.

زمنٌ مرّ على تلاقيهما . ربطت بينهما الألفه والمودة، لا هي كانت تعتقد أن الامور ستتطور الى ما وصلت اليه، ولا هو كان يظن بأن جنابه المصون والمحترم سينزل من عليائه الى هذا المستوى العاطفي الركيك .

ولكن ما حصل قد حصل وبلغت العلاقه ذروتها، تفكيرهما

منسجم، وعاطفتهما جياشه. وكل واحد منهما يكابر ويعاند ويكذب عقله وقلبه . . .

حتى وقعت الكلمات العالقة وفتحت الاسرار المغلقة، وصارحته بكل ما تشعر وتحس وتفكر، وبهذا كانت أكثر من جريئة . .

بدأت الكلمات تنساب من فمها إلى أذنيه مباشرة مع أن صوتها كان منخفضاً جداً .

عرفت متأخرة أنني أحبك، إلا أنني كنت أشعر بعيون الكثيرين تعاتبني، وتشير إليّ بأصابع الاتهام كنت أسمع الإهانات توجه إلي وأتجاهلها، تحدّيت نفسي قبل الناس وتابعت طريقي وعملي لأنني أقنعت نفسي بأن عملي أهم شيء في حياتي ... سخرت من عقلي وهزأت بقلبي وبقيت صورتك تلح على تفكيري «ليل نهار» اضطربت كثيراً لا بل خفت على نفسي من نفسي أجريت عملية حسابية بسيطة اولاً فارق السن أنت خمسيني وأنا عشرينية، أنت متعلم، وأنا جاهلة، انت ذو مكانه اجتماعيه مرموقه وأنا نكرة معدمه فقيرة وما شجعني على القول إلا إحساسي بأنك أنت مثلي تشعر بي وتقدرني وتحترمني. الا أن جيلي جرىء لدرجة الوقاحة، وأنت جيلك متردد لدرجة الفظاظة ... ولكن لا تخف سأحارب عاطفتي، سأحكم على قلبي بالسجن وراء قضبان الحرمان، سأكبل أفكاري وأرميها في واد سحيق، وسأجرد نفسي من حقوقي. سأفعل أي شيء

ولن أتردد عن فعل أي أمر يكون حلاً سليماً لي ولك، فلا تخف لقد أحببتك لدرجة أنني أستصغر ذاتي بالنسبة إليك وأكبرّك حتى انني أحتقر نفسي، وسأقنعها بانك أنت الأفضل، أنت روحي وحبي وحياتي وأنا فعلاً لا أليق بك. أتمنى أن تحظى بفتاة أخرى تملي عليك حياتك وتهنئك وتحبك. فمن يحب يضحِّ! هذا أهم درس تعلمته من تجربتي معك. وداعاً يا أغلى انسان، وداعاً يا رجلاً أحيا الحب وأماته في قلبي.

مشاعر وأحـاسيس تكتب على ألواح من الثلج والجليد . . .

أسير في الطرقات أبحث عن الوجوه الضائعة وأصطدم بأقنعة مخيفة، أهرب إلى الأروقة والأزقة فلا أرى إلا تماثيل اقزام شنيعة، أمشي على شاطىء البحر فإذا انا محاطه بألعاب ودمى متحركة، أصعد الى رؤوس الجبال فأصادف أشباه الناس

وأرجع إلى الوادي وصخرة النهر وشجرة الخروب وأصوات العصافير التمس الانسان والحياة، وأردد بصوت عالٍ: فلتسقط كل الاقنعة عن الوجوه، ولتنطلق العواطف من القلوبّ والافكار من العقول، ولنستعيد الانسان والروح والمحبة والجمال.

هواء وشمس ونهر تتراقص فيه المياه علواً وانخفاضاً وانا وحدي مشدوهة مأخوذة ! أنعم بالأضواء والنغمات والنسمات وأغني أغنية الوجود وأرجو الخالق ان يسبغ عليّ بالكثير من هذه العطاءات الرائعة، أرقص وانا واقفة ، وأمشي وانا قاعدة واطير وانا نائمه . . .

أرجع صدى الطيور، وأتنشق شذى الزهور، وأبعث بالكلمات الساحرات إلى سنوات عمري الراحلة، وأتلقى بشائر ايامي المقبلة فيتحول زمني إلى عرس ملائكي يأخذني إلى الجنة حيث المحبة الخالدة والحياة الابدية . . .

فهذه الدنيا ما هي الا مكان للأحزان والمآسي والآلام ولا أسف على العمر الضائع في السراديب المظلمه ولا على الأيام الهاربه الى الحوانيت المغلقة، ولا على الأماني الهزيلة، ولا حتى على الآمال المستحيلة .

فعلى الأرض هناك الكثيرون ممن يستجدون الحب، ويطلبون العطف، ويستعطون الحنان، ويصطدمون بجدار عظيم من الكراهية، ويقعون في حفرة عميقة من الازدراء، ويلقون في مستنقع من الأهمال تعالوا معي يا أخواتي واحملوا راية بيضاء، وامشوا صوب النهر والوادي مكللين بأكاليل العزة والاكبار، اطفئوا نار الكراهيه بماء المحبة وواجهوا المآسي والأحزان بالغناء والفرح، وعالجوا الأحقاد والخصومات بالتفاهم والاحترام والسلام، وانشروا رسالة الحب في كل مكان في البيت والشارع وفي الجبل وعلى الشاطىء، واصروا على الصفح والغفران والى اللقاء في دار البقاء .

مأساة

لن تغيب عن ذاكرتي أحداث أليمة مرّ بها مجتمعنا، ولكن تبقى صورة فظيعه تلح عليّ فيرددها عقلي وينفرها وجداني .

صورة عائلة انقلبت المفاهيم فيها بحيث أصبح الراعي والمسؤول فيها طفلاً اسمه عمر. رأيته في الجامعه لم يبلغ التاسعة من العمر، يحمل علبة الحلوى وينادي عليها، فابتسمت وقلت له: لماذا لم تدخل المدرسه؟ أين والدك؟ وكأنني جلاد ينتقم من الانسانية لهذه الطفولة البريئة، فتدحرجت دموعه وقال: أبي قتل في الحرب وامي مقعدة، وعندي أربعة اشقاء أنا أكبرهم، يريدون الطعام والملبس والمسكن فلا عائلة أبي ساعدتنا، ولا حتى أقرباء امي .
أمي تطبخ لي الحلوى ليلاً وانا ابيعها في النهار. هل تصدقين أنني أذهب احياناً من طرابلس إلى بيروت فاحصل على نقود كثيرة؟ أعطيته نقوداً فرفض وقال: انا ابيع ولا استعطي...

فطلبت منه ان يأخذني الى بيته حتى اتأكد من صحة أقواله، ودفعني فضولي الأدبي وشعوري الإنساني كي أمشي انا وعمر في زواريب وممرات لم تطأها قدمي من قبل. ولم اشعر ان الطريق طويل لأن عمر موسوعة شعبية إذا ما صح التعبير، راح يشرح لي موقع البيت وخريطة الحارة ويخبرني عن الأفاضل في حارته، وكيف ان الجميع يحبونه ويساعدوه في حلّ بعض مشاكله...

ها قد وقف امام منزل قديم، وطرق على نافذة مطلة إلى الخارج، وطلب مني أن اتبعه .

درج قصير ودخلنا البيت، عفواً لا بل الكوخ ! لا استطيع ان اقول إنه منزل اناس يعيشون على هذه البسيطة: غرفة صغيره جداً مفروشة بحصير، وعلى جانبها كومة من «الطراريح»، وفي وسطها امرأة أربعينية أخذت الهموم سواد شعرها، وتركت الأحزانُ للتجاعيد الكثيرة أن ترتاح على صفحة وجهها! تركن فوق كرسي وتضع يدها على خدها وتفكر ربما في النهايه.

ألقيت عليها السلام. شرح لها عمر من أكون رحبت بي، واعتذرت، وراحت تلخص لي قصتها: متى تزوجت، وكيف كان المرحوم، وكيف نبذها الأهلون، وكيف أصيبت بمرض عضال أقعدها. سألتها عن بقية الأولاد فقالت: هند عند الجارة تحمل لها ابنها فتعطيها لعبةً او قميصاً . . . أما عدنان فهو عند «ابو سمير» البقال يكنس له أمام محله فيعطيه ربطة الخبز، واما مالك ومدين فهما يذهبان الى شوارع المدينة الرئيسة ليمسحوا زجاج السيارات. أحياناً يعطونهم نقوداً كثيرة واحياناً يضحكون عليهم. هم يخبروني. وقدم لي عمر فنجاناً من الشاي صنعه فوق وابور الكاز امام الغرفة تحت الدرج . شربته وطلبت منها ان تضع الأولاد في مدرسة الأيتام، ونصحتها ان تدخل المأوى، فرفضت وقالت: اما كفاني انني فقدت سيد البيت وهل سأفقد أولادي؟ يستطيعون أن يعيشوا بدون علم ولكن لا يستطيعون

ان يعيشوا بدون أم. أفرغت حقيبتي بين يدي عمر وأخذت قطعتين من الحلوى حفاظاً على كرامته.

ودّعت هذه العائلة وانا غارقة في دنيا الأحزان، مهيضة الجناح، مهزومة الفكر والفؤاد، أنادي من أعماقي الى قيامة تبدد الظلمات، تساعد بطون الجياع وتعطي كل انسان حقه في العيش الحر الكريم. حقاً انه حلم، فقدرنا ان نحيا مع الاحلام وان نبتعد عن هذه الحقائق المؤلمة. الى متى سيبقى في بلدي أطفال مشردون مقهورن مضطهدون؟ الى متى سيستمر الفراق بين البراءة والطفولة، وبين الامان والطبقات الفقيرة التي تشكل اكثر من نصف مجتمعنا ؟

دعوة الى التغيير

انه زمن الجفاف، زمن الانهيارات، زمن المنحدرات، تباً لمساعي المصلحين والباحثين والمراقبين التي لا تبلغ سوى حدود الهزء والسخريه، ولا تسمع إلا الصم، ولا تفهم إلا المجنون، ولا تفقه الا الجاهل. وحسب رأي الأكثرية انني أملك نظرة تشاؤمية وأدور في فلك الأصالة القديمة والافكار العتيقة والافعال البدائية. طبعاً وكل هذا لا يتلاءم مع قوانين العصر، ولا يتوافق مع الأحداث، ولا يتطابق مع الصرعات، ولا مع القذارات. وهذه الأمور الحقيرة والتافهة لم تدع عقلاً إلا وأذهلته، ولا قلباً إلا وأنامته .

صدقوني انا لا أحارب ولا بنيتي ان أكون عدوة لأحد، إلا أنني أريد أن أؤدي رسالة اؤتمنت عليها، ألا وهي قول الحق في أي زمان وفي أي مكان وتحت أي ضغط وفوق أي تيار. فأجيالنا لا تتحلى بأي رادع ديني ولا اخلاقي ولا حتى انساني حتى صرت اعتقد اننا بحاجة الى قوة رهيبة تقضي على جميع افعالهم الرديئة، وتأخذ بأفكارهم الشنيعة، وبصرعاتهم الخبيثة، وبالأمور الوضيعة الى غير رجعة .

اتمنى على ابناء مجتمعنا، وخاصة الشباب منهم، ان يقفوا لحظات مع أنفسهم وأن يفكروا كثيراً، وان يحركوا عواطفهم الحقيقية وينزّهوا أعمالهم، وان يعودوا الى المنبع الأساس ويذروا التقليد والمقلدين، ويتذكروا الجرة والموقد والحصير، وأن يجولوا في حياة

الأجداد، فكل واحد منهم كان يحمل فأساً ومنكاشاً فيتفاعل مع الارض، ويتجاذب مع التراب، ويتحادث مع الأشجار. كان رمزاً للعطاء والمحبه وللخير والبركة . صدقوني مجرد التفكير بهذا الأمر تمتلىء أنفسنا بدعم معنوي، تتجدد الدماء التي تجري في عروقنا وتدفعنا إلىالامام والى التطور والحداثه بمفهومها الحقيقي. وليس المزيف الذي يعني، بالنسبة للكثيرين، رقصات وألبسة وافكاراً مستوردة بصورها القبيحة، والتي تشمئز منها نفوس الأخيار .فمن المفروض أن العقل البشري يتطور فعلياً إلا اننا نثبت يوماً بعد يوم أنه ينحدر إلى الهاوية وما فيها من ضعف وعجز ومرض ونهايات اليمة. أجدادنا كانوا رواد حضارة في مختلف المجالات، وفي جميع الاتجاهات. يجدر بنا ان نكمل ما بدأوه ونثبت للعالم أجمع أننا خير من استلم وسلّم الأمانة، فلا نطمر المعالم، ولا نطمس الحقائق التاريخية التي من المفروض أن نعتز ونفتخر بها، ولا نتناساها، ولا نشعر بأنها للحظة واحدة، من المنتقصات التي تسبب لنا الإحراج، والتي تعيق تقدمنا وتطورنا وتعاملنا مع الواقع، فنقضي بذلك على الفساد المستشري وعلى الآفات التي تحاصرنا من فوقنا ومن تحتنا وعن يميننا وشمالنا، أمّا القذارات، فالله وحده يعلم متى نستطيع التخلص منها .

البيضة والقلم

هي في الخامسة من عمرها تحمل محفظة كتبها على ظهرها، وتلبس مريولاً أزرق، وتنتعل حذاء مطاطياً وبنطالاً كحلياً، اما شعرها فمشدود الى الوراء ما عدا خصلتين ترقصان فوق جبينها العريض خطواتها ثقيلة حتى تخالها واقفة لا تمشي . تضم يديها الى بعضهما في عناق تخبّىء بين طياتهما كنزاً ثميناً. وراحت تدخل من دكان الى آخر، وتخرج كأنها جندي مهزوم، حتى لتقرأ من تعابير وجهها الخيبة والفشل اللذين منيت بهما. أخيراً دخلت إلى المدرسة. وقفت بين زملائها وراحت تفكر جاهدةً في مشكلة كبيرة. عيناها تتفتحان وتنغلقان بطريقة سريعة. فمها ما ان تفتحه لتتكلم حتى تعود وتغلقه خائفه متململة. وبعد قليل خرجت من صمتها وتقدمت قليلاً نحو الناظرة. وبعد أن اعادت ما كانت تفعله وهي واقفة في الصف بين زملائها من حركات وتململات وخطوات بطيئة وهز بالرأس، نطقت الجوهرة وقالت للناظرة : هل تعطيني قلماً وأعطيك هذه البيضة أمي لا تملك مئتين وخمسين ليرة، وليس في البيت قرش واحد ولا طعام، والمعلمه تضربني اذا لم يكن معي قلم فانقلب الصمت الى ضحكات وأهازيج وتحولت الصفوف المرتبة إلى مجموعات تتصايح وتستنكر هذا الموقف. عندها صرخت الناظرة وأعادت التلاميذ إلى صفوفهم، واخذت الفتاة من يدها وأعطتها قلماً فيما بقيت البيضة معها طيلة النهار كأنها دجاجة تحمي فراخها. انقلب خوفها أمناً وتعسها أملاً بعد أن طلبت منها الناظرة ان تأكل البيضة. صدقوني هذا حصل ونحن

على عتبة القرن الواحد والعشرين أيعقل ان توجد المقايضة في زمن البورصه والدولار؟ هل هو إهمال الأهل للأولاد أو الدولة للشعب؟ أعتقد الاثنين على السواء. الا يحق للطفل في لبنان ان يتعلم وكرامته محفوظة؟ لماذا نحمله ما فوق قدرته؟ ألا يحق له أن يعيش أن يأكل وينام ويتعلم ويتداوى من دون أن يفكر بمثل هذه الامور؟ هل تحولت الأساسيات في هذا البلد الى كماليات يصعب الحصول عليها؟ هل يجدر بنا ان نرثي الحياة الحرة والكريمة؟ انا لا أضخم الأمور ولكن أدعو الجهات الفاعلة الى النزول الى الشوارع، والى الدخول الى الأحياء الشعبية، والتعرف على أحوال أهل القرى المحرومة، لوضع دراسة شاملة حول إمكانية تحريك العجلة الاقتصادية، وبالتالي الى تحسين المستوى المعيشي لأكثرية الناس قبل ان يتحول الانسان نفسه في لبنان الى مشكله يصعب حلها . لأن من يدفع اولاده بهذه القوة إلى العلم ولو على حساب الغذاء يستحق ان تكون له دولة ترعى شؤونه، فلا خوف عليك ايها اللبناني طالما انك، اذا ما جعت يوماً سوف تأكل الحروف والكلمات.

الأفراح والأحزان

من زحمة الأوجاع ومن ضجيج الأحزان قامت الفتاة الحزينة لتنعي الأفراح والأحزان والسعادة والهناء لحياتها المليئة بالمآسي والآلام، ولتقدم تعسها قرباناً لأيامها القليلة .

غريب أمر هذا العالم، فهو مفعم بالمتناقضات، فمن الناس من يقول: طبيعي جداً الشعور بالفرح او بالحزن، ومنهم من يقول: اذا لم توجد الظلمات لا معنى للأنوار. ومع ذلك فكثير من بني البشر تنقلب أحزانهم فجأة الى افراح او الأفراح إلى احزان. فبالرغم من ان القدرة على تحمل المفاجآت يحتاج الى قوة لتلقي الأخبار المتقلبه بسرعه إلا انه شيء جميل أن تنقلب الأحزان الى أفراح اما ان تتحول مجالس الأفراح إلى مجالس عزاء والزغاريد الى عويل وانين فانه حقاً من الأمور الصعبة التي نصنفها في خانة القضاء والقدر، ونجهل، ما فيها من ايجابيات، ونعتقد أننا اتعس المخلوقات، ونبدأ بالنحيب، وتذرف الدموع ، فلا نشعر إلا وقد تحولنا إلى شيء خالٍ من المشاعر والأحاسيس، ونصل إلى مرحلة خطرة لا شيء يحركنا، فلا نعرف متى نضحك ولا متى نبكي، كأننا جماد. لماذا ندع انفسنا نصل الى هذا الوضع أين الايمان؟ وأين النسيان والأمل والأيام المقبله. والغد المشرق؟ أين نضع كل هذا؟ أيعقل ان نرمي كل هذا وراء ظهورنا ونذر كل شيء جميل في هذه الحياة ؟

ونقف على شفير الهاويه لأننا وضعنا أنفسنا في دائرة صغيرة، وصرنا نعتقد أننا اتعس الناس على الإطلاق. ولكن اعذروني فما رأيته أذهلني. لم يطل تعجبي عندما عرفت السبب فتاة في عمر الورود تجلس وتنظر الى البعيد لعله الخوف من اعين الناس ام رهبة للموقف التي تعرضت له لا اعرف. وجهها كالقمر إذا ما اردت أن أصفه اقول بكلمة بسيطة: سبحان الله الذي أبدع في خلقه! هي حقاً رائعة الجمال، ولكن. يا للأسف، شكل بدون محتوى. لا شيء يثيرها . لقد فقدت احساسها، وكتمت مشاعرها، واذا ما تكلمت معها راحت ترد علي بالإيماء أما باليد او بالرأس، وهكذا بحركات رتيبه مملة واذا ما سالت رفاقها في المأوى قالوا فتاة عاقلة جداً الى درجة أنها بلهاء ولا شيء اكثر من ذلك أما الممرضات فهن يعرفن انها فقدت عائلتها في الحرب. أما الطبيب المعالج فهو اكثر دراية للامر فقال لي باختصار انها ميتة فهي جسد تاكل وتشرب وتنام. عقلها مشدود وقلبها متحجر تملك فقط من الحياة إرادة قوية في عدم الخروج من مشكلة لا نقول عاديه ولا طبيعية ولكن قدرتها على التحمل كانت ضعيفة وما مرت به من أحداث خارج نطاق توقعاتها لم اقتنع وازدادت حشريتي لمعرفة ما الذي أوصل هذه الحسناء الى مأوى العجزة وهي صبية شابة .

فاللبنانيون. في وقت من الاوقات، صار القتل والموت عندهم شيئاً عادياً يرونه كل يوم حتى انهم يتوقعونه كل لحظة من اللحظات. واللون الاحمر كان طاغياً على كل شيء، والسواد يلف كل البيوت والشوارع وحتى النفوس .

ماذا وراء تلك الصبية التي هجرت الحياة وما فيها واقتنعت بعيشة لا ترضى بها حتى الحيوانات؟ حاول الجميع أن يكلمها لتبدي رغبة في الخروج من هذه المرحلة الصعبة: الممرضات والاطباء والاهل والرفاق، ولكن عبثاً كانت محاولاتهم . دخلت يوماً الى غرفتها كانت كعادتها تنظر إلى البعيد. الله وحده يعرف ما هي الصورة التي تسكن في تفكيرها وترعبها الى حد الخضوع واليأس والقبول بهكذا وضع . ألقيت التحية وأخبرتها افظع القصص التي تحمل في طياتها المصاعب والآلام والأحزان، وكيف أن ابطالها تخطوا هذه المشاكل، وتغلبوا على مآسيهم، وخرجوا إلى الحياة أقوياء وظلّت باردة كالثلج. ولكن القصة التي جذبتها وسرت قشعريرة في جسدها هي قصة اعتداء رجل عاقل مميز على طفله لم تبلغ السنتين من عمرها، فكأن كلماتي عن احداث هذه القصة كانت بمثابة مفتاح لمكنونات ذاتها، ورمت بثقل مصيبتها على كلماتها، فخرجت هذه الأخيرة سريعة منفعلة قوية فلم يعلق في ذهني إلا خلاصتها.

قتلت أفراد عائلتي في الحرب أمي أبي أخوتي بقيت وحيدة في زمن الحرب دعتني عمتي الى السفر معها، وبالفعل ذهبت وتحول جدار الأمان الذي كنت أنتظره إلى وحش مفترس إلتهم ذاتي، جسداً و نفساً، فزوج عمتي يطعمني ويكسيني ويعلّمني ويجب ألاّ ارفع صوتي أمامه. فقط يجب أن أقول له نعم، وأمرك، وحاضر، وشكراً، وكل عبارات الذل التي أجبرت أن أقولها وأودت بحياتي . اعتدى علي وأنا في حضنها وهي غبية حمقاء لا تعرف من هذه الدنيا إلا مجاراته

في كل الامور . كان زوج عمتي السيّئ الذكر وحشاً في انسان . وعندما أردت ان أتخذ موقفاً لصالحي يبعدني عن كل ما حولي، بغباء وحيوانيه ووحشية ووضاعة ورذالة، حولوني الى مريضة، ووضعوني هنا، فاقتنعت بهذا المكان لأنه أرحم بكثير من المكان الذي كنت فيه، وأغلقت دائرتي على نفسي لانني اقتنعت بان نفسي فقط هي التي اعرفها ولا اريد ان اعرف سواها يكفيني ما رأيت من هذه الدنيا. وانفجرت باكية حتى اعتقد الجميع في المستشفى انها تتعرض لنوبة عصبية .

دخل الطبيب وقبل أن يعطيها حقنة مهدّئة قالت له: دعني ابكي فدوائي هو البكاء .

وهكذا كان، إلى ان استعادت شيئاً من عافيتها، ومن نشاطها،عملت ممرضه في المأوى ذاته وتعايشت مع حالات فظيعة، ودخلت في هموم الكثيرين، ورافقت احزانهم وواستهم .

وتحوّل الجرح في نفسها إلى مكان ترفض أن تراه أو تذكره .
وضعت نفسها في العمل واتقنته فاقت الحسناء بعد نومها الطويل. ولا نقول انها تزوجت الامير وعاشت في قصر ولكن نهايتها واقعية قليلاً، مأساويه جداً ماتت في حادث سير وهي في طريقها الى العمل.

الجوارب الممزقة

في الاسبوع الماضي وزعت العلامات في مدرستنا ، الحمد لله ، نجحت، ولكن لم انل المرتبة الاولى كما هي العادة . طبعاً لم انتظر التهنئة من أحد، وبقيت في قلبي غصه وتألمت كثيراً لأن والدي سيحزن مني. وكما عودني على الصراحه تقدمت منه وطلبت ان يوقّع لي ورقة العلامات وانا أحمر خجلاً وارتجف من شدة الفزع. ابتسم ابتسامة لا تدل على شيء، ونظر إلي بحنّو، وطلب مني أن اجلس بقربه، وكعادته في حل مشاكلي بأسلوبه الحكيم قال لي : اصغ الي يا ابنتي، انا انسان مكافح، وكانت طفولتي صعبة، والحياة لم تنصفني في أيامي السابقة، ولكن عندما تنجحين وتتفوقين كنت أرى وكأن ذاتي قد نجحت، وتفوقت، لذلك فأنا لم أحزن اليوم ، لانك لم تتفوقي ، ولكن اتمنى عليك ان تضاعفي جهودك وتعودي إلى مركزك. واسمعي يا ابنتي ما حصل معي عندما كنت صغيراً في مثل عمرك : « لم يكن هناك مدارس في زمني او بالأحرى لم نكن الأغنياء كي ندخل المدارس، كان في حيّنا كُتّاب يحوي ابناء الحي كلهم في سن العاشره وما فوق . وكان الدرس تحفيظاً ببغائياً ، والاستاذ إنسان ظالم لا يعرف اصول التربية ولا التعليم ، يعرف فقط الهدايا من جبن وخبز ، وبيض والشهرية التي يقبضها في نهاية الشهر . في أحد الايام تأخرت على الكتّاب ، وعندما دخلت استقبلني الاستاذ بالعصا وأنبني واعطاني عشر صفحات كي أحفظها ، وأكتبها، فاحترت في أمري، فوالديّ أميّان وأخواتي لا يعلمن شيئاً ، وحاول لساني أن يتحرك بتلك

الكلمات وأن ينطقها ولكن عبثاً. حاولت يداي أن تنقلها على الدفتر فشعرت بثقل القلم وبخشونة القرطاس فلا حفظت ولا كتبت.

عندما ذهبت في اليوم التالي، أول ما بادر اليه الاستاذ الكريم سؤالي عن الدرس : اصعد يا فلان اقرأ وهات الدفتر معك .

وقفت ارتجف حائراً وجن جنونه عندما رأى خطوطاً متعرجة على الدفتر تعكس عدم معرفتي ، وانهالت ضربات العصا على جسدي حتى صرت لا اعرف أين تقع علي كي أحمي نفسي، ولم يكتف بذلك بل ربطني على كرسي وطلب من رفقائي ان يرفعا قدمي وازدادت حيرتي فأنا لا اريد ان يرى رفاقي ومعلمي جواربي الممزقة، واختنقت من شدة القهر، وذهب صوتي من كثرة البكاء، وخلعت حذائي لا اعرف كيف سقطت على الارض، عندها عرف الظالم السبب. عفا عني وأعادني إلى مكاني. وما تزال هذه الحادثه تؤثر في نفسي .

ولم أرو لك هذه القصه إلا لتتعرفي على قساوة الحياة الماضية، كما أريدك ان تري الحياة بكل ما فيها من راحة وتعب وسعادة وشقاء، وان الراحة بعد التعب شعور عظيم، كما وأننا بالنجاح والتفوق نحقق أمانينا وننير الطريق أمامنا .

دموع امراة لا تعرف البكاء

هي والظلم توأمان، قوية وقاسية ومستبدة. الجميع يهابها، والكثيرون يهربون منها، وحتى الزوج والأولاد لا يطيقون سماع صوتها ولا رؤية حركاتها، فهي حقاً شنيعة بكلماتها، وقبيحة بتصرفاتها. حتى انها لا تتصرف في أي امر إلا من منظار ذاتها الرديء، ولا تنطق بأي قول إلا من وراء لسانها البذيء. اقتنعت بهذا الوضع . تصرخ بوجه فلان. تؤنب آخر. تهوج وتموج في دارتها الضيقة. لا شيء يعجبها أبداً.

كافرة بكل شيء. رافضة لكل موقف . وعندما رأيتها اعتقدت أنني أقف امام صخرة منفوخة مسنودة بحجر صغير اسمه الكراهية. ولا بد لهذه الصخرة أن تتدحرج لتنزل من عليائها وتنكسر وتتفتت وتتحول الى حبات تراب، لتعود إلى أصلها وتتذكر انها من التراب وإلى التراب تعود. يا لهذا الانسان يخال ان فيه قوة وهو عنها أبعد فالضعف سمته في كل يوم من حياته، لا بل في كل ساعة ودقيقه وثانية يعيشها. أجبرتني زميلتي أن أدخل لمقابلتها علّني أقنعها بوجهة نظرنا وهي ضرورة ذهاب ابنتها في رحلة مدرسية، وكنت قد سمعت الكثير عن المعاملة السيئة التي تعامل بها هذه المرأة ابنتها. اتكلت على الله وعلى قوة شخصيتي التي منحني إياها الله، ودخلت في الموضوع مباشرة. الحياة ليست بسجن يجب ان نعيش، ان ننطلق ان نتعرف على الآخرين واطلقت للساني العنان، فلم أدع موقفاً

إلا وذكرته، ولا رأياً إلا وأوردته، حتى أفرغت ما بنفسي من أقوال جريئة. وصدمت عندما أقبلت على ابنتها تضربها وتهينها أمامي كأنها مجرمة أو منحرفه. ارتعدت من الخوف وارتجفت من وحشية تلك المراة لأن تصرفاتها ليست انسانية بل حيوانية محضة امسكت برأس ابنتها وضربته بالحائط فأغمي عليها. تعثرت كلماتي الا انني لم ادر ما حصل ساعتها كل ما أذكره هو اننا أنا والظالمة، حملنا الضحية إلى المستشفى، وعرفنا هناك أن عندها ارتجاجاً في الدماغ ونزيفاً داخلياً حاداً. عاشت الضحيه يوماً وليلة وفارقت بعدها الحياة، ربما لتحظى بحياة أفضل. ماتت وهي في ريعان الشباب، وكل ذنبها انها ارادت ان تذهب في رحلة مع رفيقاتها، وانها استنجدت بي . طبعاً هذا ليس السبب انما هو مفتاح الشر لنفس لا يمكن أن تكون خيرة ولو بأصعب الظروف. لا أعرف هل عقاب الدنيا كاف لتلك المرأة؟ نظرت إليها عندما أخبرونا ان ابنتها ماتت، فرأيتها لوحاً من الثلج الصلب لم تذبه حرارة المصيبة. ركضت نحوها قلت لها لماذا ؟ الا تعرفين الله؟ الا تعرفين ان هناك ثواباً وعقاباً لماذا قتلت نفس بريئة ؟ لماذا أنجبتها ؟ لتقتليها ؟ لماذا يامجرمة يا ظالمة؟ عندها نظرت إلي وكشفت عن ساق منخورة كأنها جذع شجرة أكلها الدود، وقالت: لي انه ابي وضعني في برميل ماءٍ يغلي لأنني أكلت قطعة الحلوى التي خبأتها له أمي فوق الخزانة. اعتقدت ان ظلمي لأولادي سيجعلهم يحبونني، ولم اتصور ابداً أن اقتل ابنتي. وصرخت وبكت حتى فقدت عقلها ونقلت الى مستشفى الامراض العقلية .

ورغم انني رأيت دموع تلك المراة بعد فوات الاوان إلا انني

احب أن اقول إن الخير في ذات الانسان اقوى من الشر ولا تعتقد يا أخي انك بالشر تستطيع أن تحقق رغباتك، فالدنيا تبقى طوع إرادتك اذا ما اقبلت عليها بكل الخير الذي منحك إياه الله سبحانه وتعالى. فلنتغلب على احزاننا الماضية وعلى مشاعرنا المكبله ولنستبدل الكراهية بالمحبة فتعمر الأرض بأبنائها، وتزدهر لتعطي الحب والخير والجمال .

زمن العجائب

اشعر بقوة رهيبة تدفعني للكتابة، لا اعرف من أين استمدها؟ ولا كيف حطت رحالها فوق افكاري وارتاحت في مشاعري واحاسيسي؟ إلا اني استطيع ان أشرع ابوابي، وان افتح كلّ نوافذي لأطل على الايام الحالية لاسجل مواقف عديدة، ولأطلق لقلمي العنان كي يسرد أحداثاً كثيرة يمر بها هذا الزمن العجيب المليء بالمتناقضات والمفعم بالمناورات السلبية بين كل ما هو سيىء وما هو اسوأ.

مقدمة مخيفه وتعريف مقيت لحقبة نعيشها اتسمت بعداوة الانسان لنفسه، تظهر بانجازاته الحضارية وتصرفاته التقدمية .

اذا ما اقتنعنا بأن القوة تكمن بأبسط الأمور فلمَ لا نبدأ بها؟نعرضها كما هي لئلا يخيل للبعض باننا نقصد عظائم الامور ونهمل أبسطها. فما يلزمنا، لهكذا زمن، سلاح واحد ألا وهو الايمان بالله، ومن خلال هذا الايمان نقضي على الكراهية والحسد والبغض والتباعد والتناحر وحبّ المادة وكره الانسانية. وكل ما يبعدنا عن انسانيتنا، ويزهق أرواحنا، ويتعب نفوسنا، ويجمد قلوبنا، ويحشر عقولنا بافكار تقربنا من الحيوانات. مع العلم بان الله سبحانه كرم الانسان وجعله أفضل المخلوقات من الجن والملائكه، لا بل سخر له كل شيء: الارض وما عليها وما فوقها وما تحتها، وحتى المياه وما فيها. يا لهذا الانسان الكافر بنعم خالقه واهمها نفسه ، فهو جاهل للخير والشر

حتى أنه فقد حس التمييز، وركن في ظلمات الإلحاد للقيم وللمبادىء وللارث الثمين الذي تركه له القدماء ، فتعلق بتطور زائف، وبتقدم مزورٍ، بحضارة تحترم الظواهر والماديات وتهزأ بالجواهر والمعنويات.

فتلوث الأفكار والعواطف عائد لأسباب عديدة أهمها تقاعس أمم رائدة وقبولها بأن تكون في المنحدرات، وفي آخر الطريق، ورضوخها للبدع المستحدثه من أمم نعتقدها رواد حضارة، وأوائل في كل شيء. هم فعلاً هكذا، ولكن فقط في مجال واحد هو الانحطاط والرجعية، فما معنى ان يخضع الانسان في قواميسهم للبيع والشراء اكثر من ذلك للتشويه، حتى انهم لم يكتفوا بالعبث بكرامة الانسان بل تعدوها لحرمة الوجود الإنساني .

فهم يدورون في فلك العظمة الدنيوية عن طريق الاستنساخ تارة، أو عن طريق تغيير خلق الله، حتى صرنا نرى شياطين بأجساد بشرية ... أناس محسبون على البشرية ونحن نسير وراءهم، ونقدرهم، ونعتبرهم الأفضل والأحسن، ورواد علم ومعرفه التفاتة بسيطة: ما أروع الجهل والتخلف الذي نعيش فيه، وما أحقر العلم والتقدم اللذين يتخبطون بهما، فالعلم الذي يحمل تلوث العقول لا يجدر بنا حتى أن نسميه علماً لا بل جهلاً وانزلاقاً صوب نهايات مأساوية تدمر الإنسان لانه الخاسر الاكبر في معركة من ابتداعه، فهو بالطبع سيخسر وجوده في الاولى وفي الآخره. هل خطر في بال أحدكم بأن الأخطار تحيط بنا من كل جانب، وأهم جانب هو في ذات

كل واحدٍ منا، واذا ما قررنا أن نتحدى، وأن نصحح ونسير في الطريق الصحيحً يجب أن نقوّم انفسنا وننزهها عن كل ما يسيىء إليها من أمور عظيمة بمساوئها، وفرضت علينا وتقبلناها برحابة صدر .

نحن قوم نقزّم أنفسنا أمام الآخرين، ونعملق تاريخنا أكثر من االمطلوب

حتى بتنا أغراباً عن التقدم، وبعيدين كل البعد عن التحضر.

إنسان استهلاكي بامتياز لكل شيء وحتى لما يسيىء للأنسان.

عانس في السادسة عشرة ربيعا

صبية حسناء تعيش فترة المراهقة بعقل امراة في الاربعين من عمرها، تمتلك شخصية قوية بحيث تؤلف مع نفسها مدرسة مثاليه تدور في فلك المبادىء التي وضعتها، والأفكار التي تسبح فيها، فصارت مركز توزيع النصائح والعظات الهشة والخفيفة لانها نتجت عن وعي غير ناضج وعن حياة غير مجربة . أسست منهاج حياتها من أحلام جارفة، كانت تتخيل وتتوقع وترجح حتى لكأنك تشعر بانها واقعيةً الى حد مخيف .

فمن الممكن ان تحدد معالم شخصية انسان إذا ما كان يتعامل مع محيطه بما فيه من أخطاء ومساوئ ولكن من الصعب معرفة كنه نفس تحيا بخيالات تعتقدها حقيقي، وبآمال تبعدها إلى أقصى حدود عن جيلها .

فهي تكره الرجال لا لشيء، ولكن نتيجة التربية الخاطئة التي يتلقاها كل من الذكر والأنثى في مجتمعاتنا الشرقية. فللذكر كل شيء أمامه مسموح حتى الاخطاء، وللأنثى كل شيء أمامها ممنوع حتى الصواب . الخوف والتشدد اكثر الصفات التي كانت تملكها هذه الصغيرة الكبيرة .

الصبايا في مثل عمرها يتزيّن ويتجمّلن ويهتممن بمظهرهن،

اما هي فكانت تشوه خلقتها شعرها القصير وجهها المتسم بالرجولة، وصوتها خشن، ولباسها الأقرب للصبيان منه للبنات. تكرههم، وتتمثل بهم اعتقاداً منها انهم الافضل والأحسن والأحق بالحياة .

تدعى "ايمان". تتعامل مع اهلها بفظاظة ومع رفيقاتها باستهزاء وسخرية. كانت تحتقرهن لانهن يفكرن بجمالهن وبهيئتهن وبأنوثتهن فهي تنكر على ذاتها كل هذه الأمور . صنّفت نفسها في خانة الأفضل بين البنات والصبيان، فلا هي ذات عقل خفيف، ولا هي متعنتة ومتصلبة ومستقوية...

بنات جنسها يذبن في قصص الحب والعشق والغرام، وهي تغوص في قصص العنف والحرب والجريمه، حاول الجميع ان يلفت نظرها الى أنها بنت يجب ان تحافظ على انوثتها، إلّا ان محاولاتهم ذهبت هباء، إلى أن شاهدت فيلماً بطلته عانس تحيا في مجتمع لا يرحم، ولا يقدر الاحوال والظروف، هي مرفوضه من كل ابناء مجتمعها، مكروهه، منبوذه، فأثّرت شخصية هذه الفتاة كثيراً في نفس «ايمان» ومنذ ذلك الحين انقلبت العانس الصغيره إلى فتاة لا بأس بجمالها وبأنوثتها، وصارت تقضي أكثر أوقاتها أمام المرآة وأمام الافلام العاطفية، حتى تبدلت حياة المسترجلة الى حياة انثوية تعرض نفسها في كل مناسبة، ولا تخفي محاسنها عن أحد، لا بل فاقت اخواتها في الاسراف بالإهتمام بمظهرها . وكرهت فكرة العنوسة التي كانت تقدسها وتعتبرها ملاذاً وملجأ ورمزاً للحرية، وأحبت الارتباط

الى درجة أن فكرة الامومة قد نهضت في قلبها بقوة كبيرة، وانقلبت حياتها رأساً على عقب .

عبادة

عندما تعانق الجبال زرقة السماء، وترقص الأمواج مع رمال الشطآن، وتتأرجح الأنوار الحمراء فوق الماء والتراب ، تنزل على الكون لحظات قدسية، تجعل الكائنات ماخوذين مشدوهين ، من روعة المناظر لامتزاج الألوان، وسكون المكان وقت الغروب، والاشجار، والمياه، والشمس والهواء.

مكونات تثير فينا مشاعر الايمان، وتحثنا على التذوق والاستمتاع ، فنحب حفيف الأوراق، ونرتشف خرير المياه ،ونلمس أشعة الشمس، ونميل مع تحركات الهواء، فنحس بأننا نمارس أعظم طقوس العبادة ، فنمجد الخالق ونسبحه على أقوى نعمة أهداها للعباد.

الأحلام الهاربة

ماذا تفعل أيها الانسان إذا كانت الاقدار تبكيك، والازمنة تدميك، والحياة لا تعطيك إلا بشائر الموت من فزع وخوف وآهات وندم. عندما تحلم بطعام لذيذ وبشراب منعش، عندما يداعب خيالك ثوب رأيته في واجهة ما، أو لقمة رأيت أحدهم يلتهمها، او حذاء مريح لتنزع من قدميك رقعة جلدية تأكل من قدميك اللحم فتؤلمً أصابعك حتى انك تتمنى ان تمشي حافي القدمين، ولتخلع عن جسدك ثوباً كرهت عيناك رؤيته فبات كرة خيطان حائلة تكاد تجعلك عارياً، ويتملكك شعور بأن الناس، كل الناس، تسخر من فقرك المدقع ومن فطنتك العمياء . أضف إلى انك تعاني من حرمان النفس، فشخصيتك لا ينجذب اليها إلا كلب عطشان، أو هر جائع لتعطيهما من فتافيت ما تجمع من الفضلات، كأنك ملعون أكثر من الشياطين، فأنت محروم من الهواء والغذاء والماء، ممنوع من المساكن والمواقد والمنازل، فأنت فقير حقير وضيع لا تصلح إلا لشارع او طريق او رصيف، فما بالك تشكو، وسقفك سماء، وجدارك برميل وغطاؤك كيس طحين، ومخدتك من طين، وفراشك من حديد. لماذا تتألم وانت أغنى مخلوقات الارض بأحلامك العظيمة؟ انظر الى النجوم في الليل وأسر اليها بمتطلباتك، وتطلع الى الأرض في النهار وأخبرها عن احلامك، فيتحول التراب بين رجليك الى ذهب تغزو به هذا العالم، فتأكل اللحوم، وتلبس الحرائر، وتسكن القصور، وتشتري الأصحاب فيتحول العدو إلى صاحب، والبغيض الى حبيب. ولا تنس، وانت

في نعيمك الزائل، انك تفقد كل شيء جميل لأنك تحديت قدرك وكفرت بنعمة وجودك، فلا الفقر من صنعنا، ولا الغنى من انتاجنا، كل شيء مفروض علينا وبين ذلك وذاك تقف أنت تغني أحلامك الذهبيه وترقص مع ايامك الورديه وتمشي مع حياتك اللؤلؤيه. وتصرخ بأعلى صوتك: أعيدوني إلى مكاني، اوقفوا زماني فجميل أن احيا مظلوماً مقهوراً أو قبيحاً شنيعاً على ان اعيش ظالماً متكبراً أملك الكثير، إلا أنني افقد الأحلام الهاربة إلى الوادي العميق، والخيالات الراحلة إلى الافق البعيد، فتغدو روحي فارغة يصبح جسدي سميناً، وتموت عواطفي، وتنتحر أحاسيسي واعيش فقط مع العدم .

مقابرالأحياء

جفت الأقلام، واختفت المحابر، وهربت الأوراق، وبقيت هياكل الكلمات تنذر بخطر شديد تهدد بثورة مغوليه تحرق الحروف وتبدد الافكار، تشرد التراث وتمحو الأصالة، وتحقق النصر للجهل وللجاهلية في نهاية القرن العشرين. وهنيئاً لنا بالجاهلية الحديثة وهنيئاً لنا (بهولاكو الحفيد)، ووداعاً ايتها الحياة الكريمة المضاءة بأنوار العلم والمعرفه .

هذه واقعة أكيده وهي ليست نذير شؤم، ولا نعيق بوم، ولكن يبقى عرض المشاكل كما هي، والسعي الى حلها افضل من تكديسها في خزائن النسيان .

وهذه قضيه مهمة جداً لأن المرافعة فيها مميزة فهي ستحدد مصير مجتمع ومستقبل أجيال.

والنقاط المثارة في هذه القضية لا يفسرها دستور ولا يحميها قانون، انما هي مرتكزة على الهدف من وجود الإنسان، ألا وهو الحياة.

وكيف أن الحياة اليوم متمثلة في ظل ابنية ومؤسسات هي بمثابة مقابر للأحياء .

فمن أوجب الواجبات هدم هذه المقابر فعلاً لا قولاً، وتنفيذ الشعارات وهذه الخطوات تجعلنا ندخل في مرحلة فاعلة وهادفة لتحقيق الأمنيات والآمال. لنعلنها ورشة بناء للإنسان وعملية إصلاح في كل المجالات .

تصفق الحرية بيديها داعية قوافل الشهداء إليها

تزغرد الانتفاضة بعينيها داعية أبطال العرب إليها، ترقص الكرامة بيديها داعية اطفال الحجارة إليها، فيا اقصى نادنا ويا قدس انتظرينا، فها نحن قادمون حاجون مصلون متطهرون، قرآن في قلوبنا وأحجار بأيدينا، دنيانا صغيرة وأمانينا كبيرة، طريقنا قصير إلى الفردوس والنعيم، فلا وقت ولا ساعة ولا مكان ولا طاعة، إلا ليمين واحد برب واحد، سنحرر فلسطين حتى آخر قطرة دم، سنحرر مسجدنا حتى آخر لحظه للحياة. قضية يحملها أطفال وشباب، اختصروا الحياة بدقائق انتصار، واختزلوا المسافات بمواقف احتضار، حجر وحفر ورحلة انسان بين الموت والحياة، بسمة ودمعة نحيب وزغاريد، فمنذ الولادة ومع الحليب يرضع لبن الانتفاضة، ويكبر يشب على كره الذل و الاستعباد، ويحمل النقمة على حفدة القردة والخنازير، ويعتز بنعمة الشهادة فتحمل الملائكة أرواح المقاومين الذين لا ولن يتركوا الحياة إلا بعهد الوفاء. تابعوا المسيرة وزلزلوا قلوبهم، وفجروا ضمائرهم واتبعونا. شرف لنا ان نموت في سبيل الله فاتبعونا حتى اليوم الموعود.

أصعب الاوقات

عندما تخنق عبراتك وتظهر ابتسامتك تتحول الدموع معها الى دماء،

وعندما توقف أحلامك وتبين حركات تتحول معها الحروف إلى دعاء

وتعتقد بانك تسيطر على نفسك وتسجن عواطفك وحاجاتك ومتطلباتك في أبعد شريان في قلبك، وتتابع حياتك وتتظاهر بالنسيان للماضي وبالقوة لمجابهة الحاضر وباللامبالاة لملاقاة المستقبل .

فبالرغم من زحمة الناس في البيت وفي العمل تجد نفسك وحيداً الا من خيالك غريباً بين اغراب ابعاد لا احد يهتم بك، ولا أحد يسمعك، ولا حتى مخلوق يشعر بحزنك، ولا بفرحك، كأنك قادم من عالم بعيد عن عالمهم، وتتكلم بلغة مبهمة لا يفهمها احد .

إمرأة عجوز

عندما تدان من جميع المخلوقات ، وترزح تحت أعباء كل الأشياء وترمى في الاعماق وتهمل في الزوايا وتحشر في الزواريب، حينها تحسب نفسك حجراً يحطم ويكسر ويجزأ رمالاً تذروها الرياح.

انسانة منحنية الجسم ثيابها، اقسم رقعة قديمة لا ممزقة ولا مرقعة تمشي الهوينى ويترنح لسانها بأدعية سرعان ما تكتشف انها تمقت ولدها وتدعو عليه . انا ام ربيت وبنيت وحتى الآن أعمل في البساتين، أعيل نفسي واقدم المؤونة لبناتي وله، وبالرغم من كل هذا يضربني ويهينني. طردني من الدار فاتخذت من الحقل مأوى وافترشت التراب واحتضنت الحصى .

المغضوب لا يبالي. وزع أولاده الصبيان في المياتم والبنات في المنازل، يأخذ المال من تعب البنات وينفقه على زوجته الجديدة. يأكل اللحم والدجاج، ويستقلُّ، عليّ وعلى زوجته القديمة وأولاد، رغيفَ الخبز .

أي شرع واي دين يتبع؟ أين الدولة؟ لماذا لا تضعه في السجن؟ والعجوز تجهل القوانين الوضعية، الا أنها تعرف حق المعرفة القوانين الانسانية، وصلة الرحم، والترابط الاسري ربيته وحيداً.

أعطيته كل ما أملك: صحتي ومالي وتعبي وعمري وشبابي، وهو الآن لا يكتفي بالسخرية منّي بل يعمد إلى ايذائي وضربي كلما وقعت عيناه علي، فانا لا أستطيع إلا أن انقده وان أبين له خطأه. الويل له من عذاب جهنم. هذا العاق الظالم الفاسد ليته مات ليته أعمى. ليته أخرس قلبي غضبان عليه إلى يوم الدين. وأنا هنا أبحث عن أولاده من مكان الى آخر لأعيدهم إلى بيتهم، وعلى البنات، فحرام ان يعملن في البيوت، ووالدهم يدور على "حل شعره" يأكل ويتزوج وينجب وينام ويأخذ المال من تعب البنات لا ليصرفه على أولاده وانما على شهواته وملذاته. هو كلب مسعور لا يهدئه شيء، ولا يقنع بشيء، فليمته الله ويرحني منه. فوالله ما إن أعثر على الاولاد والبنات حتى أحضنهم و أعمل، وأربيهم، مع انني مكسورة ضعيفة طاعنة في السن. أدارت ظهرها بعد أن رمت بحقدها على ولدها، وسارت في الطريق تهدج كأنها جمل انحنى هودجه. ربما هي والدة ظالمة وابنها مظلوم سابقاً. تبادلوا الأدوار وغرقوا في المتاهات المظلمة.

غير متعلم ولكنه مثقف....

لا غرو انه يوجد متعلمون كثيرون، ومع الاسف قلائل هم من يجمعون صفتين معاً: العلم والثقافة. ترى أحدهم يحمل أعلى الشهادات ويعتلي اعلى المنابر، إلا انه يحبس نفسه في دائرة او موقف او اتجاه، فيضيق عقله، وينحصر تفكيره بصفحات كتاب .

ومقابل هؤلاء الناس توجد طائفة من المثقفين غير المتعلمين. وبطلنا هنا رجل خمسيني لا يعرف الحرف، ولا القراءة، ولا حتى الكتابة، إلا انه يستأجر صبياً ليقرأ له كل يوم ساعات في القهوة كتاباً أو جريدة او مجلة وعندما يتغيب الصبي يجمع أصحابه من حوله ويناقشهم في أمور متعددة اجتماعية وسياسية واقتصادية . اسمه أبو أحمد لا يلعب النرد (طاولة الزهر) ولا يتناول النارجيلة، إلا أنه يهوى سماع الأخبار والأحداث المكتوبة، ويعشق الكتب الأدبية، حتى أنه أحياناً يطلب من الصبي أن يقرأ له كتباً اقتصادية فلا يستوعبها كثيراً فيذهب إلى جاره الاستاذ ليشرح له النظريات والمسائل .

كم اتمنى ان تعمّ حالة أبو احمد أوساط المتعلمين، وان تنتشر في امكنة يتواجد الكتاب فيها تراه بسيطاً لا بل أقل من بسيط. ثيابه بالية جداً، ولكنه لا يأبه، فهو يشتري بدل الثياب كتباً، وهو يفتخر بذلك. اذا ما سمعت كلماته ترى أنها تنساب إلى مسامعك لتخرق عقلك، فيشدك إليه ويجذبك إلى الموقف او إلى الحقيقه التي يريد ان

يؤكدها او يعرفك بها.

والله ما سمعت الكلمة الرضية النافذة من أفواه أساتذة الجامعة كما سمعتها من ابو احمد.

يحلل لك الأشياء. ينقذك من اللامبالاة فتروح معه في رحلة ممتعة تعود منها غنياً بالمعلومات وراضياً مستمتعاً بالوقت الذي امضيته معه . يسخرون منه ويدعونه الفصيح، هو فعلاً فصيح حتى انه برهن عن موقف يخشاه المتعلمون وهو ان الفهم فضل على العلم . وتنطبق هذه المقولة على صاحبنا فهو يفهم ويستوعب ويعيد قراءة الجمل والأشعار حرفياً. ذهنه صافٍ، وشغفه بالعلم قوي، ويطبق ما يسمعه على ذاته وفي حياته مثلاً سمعٍ عن المساواة والعدالة فهو يقتصد على نفسه بالطعام فلا يأكل الكثير ويكتفي بالقليل حفاظاً على صحته وليترك المجال لغيره من الناس كما يقول. يقرأ عن المظاهر الخادعة وعن أهمية الجوهر فلا يهتم إلا بداخله ويذر مظهره، والناس أحرار فيما يعتقدون.

مسالك وعرة في الدروب المظلمة

قوة عجيبة تحول المصاعب الى أمور هينة واحداث سهلة.

كنت لا اعرف في حياتي الا المآسي والأحزان حتى وكأنني الوحيدة التي تستطيع المقاومة والتحدي، وصرت أتعامل مع واقعي بشيء من الجفاف والكثير من اللامبالاة، لان القلب الذي تلقى طعنات كثيرة ونال الكثيرمن الصدمات، وأصبحت الآلا م دماء تضخ منه، الى سائر انحاء الجسم، ذبذبات تحرك روحه كلها .

و ما يقلقني هو انني لا اريد ان اخرج من هذه الحياة إلا بقلب سليم خالٍ من العلل المادية والمعنوية .

وما اريد معرفته: هل أستطيع الصمود؟ ربما من الطبيعي ان لا ينال المرء كل ما يتمناه، ولكن ما هو خارق، حتى لحدود الطبيعة هو ان تسعى دائماً الى دنيا خالية حتى من خيالك، وأن ترحل إلى عالم لا يوجد فيه إلا ظلك ... ولا يوجد مبرر لمسعاك الا كفرك بالمبادىء الانسانيه وبالقيم الاخلاقية ....

انا اعتقد انه يوجد الكثير من المبررات كأن تكون رداء تحمي فيه من تحبهم من اشعة الشمس القوية، او مظلة تظللهم من مطرة قوية، او رادعاً تحميهم من عاصفه هوجاء، او جسراً تجعلهم يعبرون الى شاطىء الأمان او حتى انك تقصر من عمرك لتزيده إلى ايامهم . وبعد ذلك يرفسونك مثل الكرة، ويرفضون حتى ان يشكروك أو ان

يعترفوا بجهودك أو أن يقدروا عطاءاتك...

ولانك مثالي وهم أوفياء لدنيا انت لست فيها، ولأن الانسان مشتق من النسيان، فسرعان مايتذكرون ايجابيتهم وسلبياتك، وينسون حتى انك كنت تعيش من أجلهم، فيبتعد المحب عن المحبوب، والأم عن الولد، والصديق عن صديقه، والأخ عن أخيه، والجار عن جاره. وتنقسم الأحاسيس وتتجزأ العواطف. وتتحطم القلوب، وتنكسر المحبة على صخور الإلحاد، ونعيش في أعظم حالات البناء الحجري، واتعس حالات الانهدام البشري.

وتبقى خيوط النور الكثيره الآتية من أعماق الماضي تسعى لتعانق خيوط النور القليلة القادمة من بشائر المستقبل... وإماان تنغمس يا أيها الانسان في الواقع السيّيء او أن ترحل عنه بروحك وتحاول، قدر الامكان، ان تبتعد عن كل ما فيه من كراهية وبغضاء وانانية... وان تجعل من نفسك محارباً، لا يرتاح ابداً، يجاهد ويقاتل، فإما أن يَقتل او أن يُقتل، فاذا قتل فانما يقتل الشوائب والأخطاء واذا قُتل فانما تخسر الانسانية إنساناً روحانياً في زمن الماديات الغريبة والعجيبة.

مجنونة عاقلة جدا

من اللافت للنظر أن تتعامل قروية في مجتمع شرقي مع طبيب نفسي، والغرابة في الامر أنها تقّر بأنها تقع في حالات فظيعة من الجنون، بحيث تتفوه بكلمات، وتعترف بمواقف لا يمكن ان تتفوه بها عندما تكون في وصفها الطبيعي. .بإختصار أستطيع ان ألخص شخصيتها بجملة واحدة وهي انها بسيطة جداً في الامور المعقدة ومعقده كثيراً في أبسط الامور .تزوجت وهي في آخر مرحلة من مراحل الشباب، تزوجت في سن العنوسة كما يقولون رجلاً لا بأس به، كرّمها واحترمها إلا انها مصدومة. لماذا؟ لا احد يعرف، فإما لكراهية أهل الزوج لها، او لفظاظتها وسوء معاملتها حتى لنفسها. المهم أنها أصبحت أماً لأربعةِ أولاد، وأرملة لرجل عنده أمبراطورية أولاد وأحفاد. ومنذ وفاة زوجها وهي لا تمارس من أمومتها إلا غريزة الدفاع عن أولادها اتجاه أولاد الجيران.ولسخافتها تقيم الدنيا ولا تقعدها اذا اختلف ابنها مع رفيقه، أو اذا تصارعت ابنتها مع قريبتها تقيم صراعاً لأتفه الأشياء، حتى أولادها لا يحترمونها. واعتقد أنها هي السبب. فعندما تشعر بضعفها اتجاه الموقف الذي تضع نفسها فيه توقع نفسها بغيبوبة صاخبة تضرب وتصرخ و تشتم وحتى انها تصرح بانها تريد والداً لأولادها، واحياناً تطلب زوجاً وهي في هذه الايام ترتاد عيادة طبيب نفسي وتعاكسه في كل ما يطلب منها. وعندما تنظر إليها تشعر بأن شيئاً من ذاتها المريضه يتساقط عليك عبر نظراتها المخيفه. فالمقابلة صعبة بين تدني مستواها في التعامل الاجتماعي واتساع عقلها البشري الذي قبل بالخضوع

للعلاج النفسي ، أنا لا أعين نفسي وصيه على أحد. وانما هذا الانسان الذي حقق امراً كان مستحيلاً يجب ان يستفيض بإعطاء حياته تعويضاً عن الفرص الضائعة. ولكن لله في خلقه شؤون ...

قلبي حجر صوان

يامن خلته خشباً فإذا به صوان، ولما أضرمت به نيران الأسى والعذاب اعتقدت أن نهايته رماد تعفره أقدام الأحباب. فاذا به مولد اللهب ومصقل الألباب ولم تقدر عليه هفوات وعواطف وأسباب فقم من كبوتك ولا تنسَ المصائب والأحزان بل حاسب ذاتك وتعلم من تجاربك ولا تمشِ ذليلاً وتخشَ الأهوال، فانك تستحق لقب أمير الأشجان أعوام مضت وهربت أيام وأنت قوي لم يهزمك مرض ولا ألم ولا أحقاد الناس. يا قلباً مليئاً بالعواطف، ومفعماً بالمشاعر والاحساس يا قلبي يا حجر صوان كلما اشتدت عليك الأيام تفتحت أمامك ابواب الايمان ودخلت عوالم الآمال وتركت وراءك احداثاً وأخباراً حكايةً للأجيال

نهايتها درس وعظة للقلوب الحية والنفوس الفتية، وسلام عليك يا من صقله الفشل وهذبه الألم وشذبه الحرمان، يا قلبي يا حجر صوان، ولا تقل وداعاً للصعوبات، بل أقبِل على الحياة بتحدٍ وصرامةٍ وعناد.

نباهة أمي وسخافة متعلم

خرجتْ من غرفة الادارة ودموعها متحجرة في أحداقها، وأحزانها باديه على وجهها، وآلامها ظاهرة في تنقلاتها. أدخلها الحارس إلى غرفته وأقعدها وراح يطيّب خاطرها، فهو قد سمع بعض الكلمات القاسية التي وجهها المدير اليها عندما كان يضع أمامه فنجاناً من القهوة. تزاحمت الكلمات وراحت تخرج من بين شفتيها : انا اعمل من أجل ولدي لأربيه وأعلمه، ويأتي هو ليقول لي: اخرجيه من المدرسة وفتشي له عن عمل... ابنك فاشل وغير مهذب، ومكانه الشارع وليس المدرسة.

لم كل هذا يا رب ؟ لأننا فقراء معدمون؟ ما ذنبي إذا كان والده مات؟ جميع رفاقه استهجنوا موقف استاذ الجغرافيا الذي صبّ غضبه على ابني فقط. لا لسبب الا لأنني خادمة أعمل في البيوت. يستخفون بنا. واختنق صوتها في صدرها وراحت ترتجف. قدم لها الحارس كوب ماء وبادرها قائلاً: إسمعي يا أختاه، ابنك أخطأ، وخطأه صغير جداً، ولكن مديرنا من هؤلاء الذين يعتقدون بان الحياة وجدت لأجلهم فقط . فهم لا يعترفون بوجود الآخرين. تستطيعين القول بانه يؤمن بمبدأ " العبد والسيد" فلا تقلقي ولا تعلّقي أهمية لما قاله، ولكن عليك بولدك أفهميه بأنك تعملين لأجله كي يكبر ويتعلم ويصل الى مركز مهم ويعامل الناس بالحسنى وليس كما عاملك هذا المدير القاسي القلب والمعدوم الضمير . أخبريه بأن الحياة للجميع وكل واحد له

مكانته وكل الناس مهمون وموجودون ومؤثرون في هذه الحياة .

قولي له: عندما تكبر مارس إنسانيتك من خلال عملك، فليس صحيحاً أن الفقراء هم فاشلون بل هم متفوقون، فآلامهم وأحزانهم تدفعهم بقوة إلى الأمام والتاريخ يثبت بأن العظماء هم انتاج الطبقة الفقيرة. ودعينا لا ندخل في لعبة الغنى والفقر. الانسان اذا ما فهم وأيقن معاني الحياة العظيمة فانه لا بد سيصل الى أسمى الأهداف، وسيحقق أنبل الغايات إلى أية فئه إنتمى فالناس جميعاً خلقهم الله تعالى من التراب، فانظر يا أيها الانسان إلى التراب من وقت إلى لآخر حتى لا تنسى أصلك وحتى تستشف العبر الجوهرية والمثل الساطعة من حقيقة الانسان.

لقاء ناعم في زمن قاس

صدفة ربما جمعتنا ، لعبة القدر أعادتنا سنوات الى الوراء ، والحنين القوي إلى أجمل الأيام وأروع الساعات وأفضل اللحظات جعلتنا نحدد منزل هدى مكاناً للقاء الصديقات اللواتي جمعتهن ثانوية البنات حيث قضين سنوات من حياتهن ، أما الزمان فكان يوم الجمعة عطلة الاسبوع للعاملات منهن، ووقت صلاة لأزواج بعضهن . جميعهن حافظن على المظهر فلو إنتشلنا بضع سنين من أعمارهن وقليلاً من التجاعيد عن وجوههن، وخصلات بيضاء من على رؤوسهن، وكثيراً من الأحزان من أعينهن، لو حدث ذلك لعُدنَ شاباتٍ!

حاولت مضيفتنا هدى أن تبدأ اللقاء بالذكريات الخفيفة والسعيدة فضحكن جميعهُن ضحكات نبعت من قلوبهن ، وانتقلن بعد ذلك إلى أحاديث شتّى: أنا اصبح عندي ولدان بنت وصبي وزوجي لا بأس به. أما انا فلم أرزق بأطفال ولكني أساعد زوجي في المحل لأملأ فراغي وماشي الحال. وثالثة قالت انا خطبت منذ شهر من رجلٍ متزوج وعنده خمسة اولاد ماذا افعل؟ نصيبي ورابعة ضحكت عالياً وقالت: انا متزوجة من رجل ابن عائله ثرية وعندي ثلاثة اولاد صبيان. وانت يا لمياء لماذا لم تتزوجي بعد؟ وماذا تعملين؟ وكيف تقضين ايامك؟ وكان سؤالها فظاً لا لأنها تسأل زميلتها عن وضعها وإنما لمرارة عميقة ظاهرة في كلامها. أجابتها لمياء: الحمد لله، عملي جيد لا بل ممتاز، لا اخفي

عليك بأن مشاعر الأمومة تهبط بثقلها على قلبي من وقت إلى آخر ولكن في الحقيقة أحاول ان افجرها لكل الأطفال، وأعيش كل دقيقة في حياتي راضية وسعيدة. آسفة لهذا الأسلوب الذي خاطبتك به، قالت صديقتها، ثم اردفت، لا أشجعك على الزواج. على الأقل انت حاكمة نفسك حرة ... أنبرت المواقف المعارضة وقالت إحداهن: انظرن اليّ. مظهر لائق ومنزل فيه كل أنواع الرفاهية وأولاد رائعون وسائق ينتظرني الآن. أنظرن من النافذة هذه السيارة المرسيدس ٣٠٠ انها لي هدية زواجي لهذا العام وخادمة وطباخة ومربية وو...

ولكن اسمعن وصدقن ... نحن في نهاية القرن العشرين وما ساخبركن عنه هو، إذا لم يكن أعجوبة القرن العشرين، فسيصبح مهزلة القرن الواحد والعشرين...

منذ أن تزوجنا وهو يعاملني بقسوة لا أعرف من أين يأتي بها: إهانات، ضربات، شواذات ، لكمات ، إسمعن ملخصاً عن يوم أقضيه معه صباحاً قومي ياحمارة. النوم للحمير، إلبسي الجلال، وحضّري الحمام، واطلبي من الخادمة ان تأتي لي بكوب من القهوة. ويا ويلي إذا تباطأت بالنهوض، فإن حككت شعري او تثاءبت يشدني من شعري إلى الباب ... هكذا يحملون القهوة. هكذا يضعون الثياب، حيوانة بقرة. وكأن حديقة حيوان في فمه يرشقني بها. هذا في الصباح والصباح ارحم الأوقات لدي.

ظهراً يأتي بصاحبته إلى البيت، ويستقبلها في غرفتي. وان

شاء الله افتح فمي أو أحاول أن اقول شيئاً للأولاد أو أمامهن ... واذا حاولت الاعتراض يتحفني بأبشع الكلمات وأقساها، ومساءً تبدأ عملية الضرب، والله بالكرباج واذ لم تصدقن انظرن وخلعت ثوبها الذي اعتقدت للحظة انها تحاول أن تظهر كبرياءها من خلاله ... يدان زرقاوان ظهر مليء بالحفر الحمراء والزرقاء والخضراء، وأصابع يدْ على رقبتها، والكثير من الأفعال التي لا يمكن إلا أن تكون ناجمة عن وحش او آلة، دهشنا واستغربنا واستنكرنا إلا أن لمياء انبرت قائلةً: ليس هناك ظالم بدون مظلوم ولا مظلوم، بدون ظالم، وانتِ لو لم تقتنعي بهذا الوضع لما كان كل هذا، فلا الشرائع السماويه ولا الدنيوية تجيز للزوج ان يفعل كل هذه الأمور حتى ولو كانت زوجته ترتكب أبشع الجرائم بحقه، فإن كانت زانية وجب رجمها مرة ولكنك تُرجمين في اليوم مرات، ولو كانت قاتلة لوجب قتلها مرة، وانت تقتلين في اليوم مئآت المرات. و لماذا السكوت؟ لماذا الاستسلام؟ لماذا الخضوع؟ ولماذا الذل؟ ألا تعرفن لماذا ؟الأولاد هم السبب الاول، والسبب الثاني هو عائلتي التي لم تستقبلني أبداً والثالث هو انني لا املك عملاً يؤمن لي حياة كريمة. فهل أنحرف؟ ماذا افعل؟ من كثرة الآلام ومن زحمة الضربات طار الاحساس وتبخر الشعور واختفت الكرامة. تعودت على هذه الحياة، والذي يحز في نفسي اكثر هو انه بعد كل «عرس» يقيمه لي يأتي لي بهدية. هذه الساعة، على سبيل المثال، قدمها لي بعد الإهانة التي وجهها لي أمام عشرات الاشخاص: يا حيوانة افعلي ، لا تفعلي. والله لا اعرف ماذا يرضيه. وهذا الفستان وهذه الحلية، هل تصدقن لقد تساوت في نفسي المكافآت والمجازات. هل تتذكرن

عندما كنت أكتبها على اللوح وكنت أحرص على ان أسجل أسماءكن تحت المكافآت، والباقيات تحت المجازات، ابتسم الجميع .

وانتهى الاجتماع الذي كنت أحسبه لقاء أحبة مليئاً بالفرح وبالهناء وبالسعادة. ولكن مع الاسف انقلب حزناً والماً ومرارة . على تلك الانسانة الشقية وعلى ذلك الشخص الظالم الذي يعتقد نفسه قوياً وهو ضعيف جداً، وزوجته الدليل الاكبر على ضعفه ووهنه والأبشع من ذلك أننا نتكلم عن الحقوق وعن المساواة، فلنتوقف عن كل هذه الامور حتى تتحرر النفس البشرية من كوامنها الوحشيه وحتى نقضي على الشر والكراهية في نفس الرجل والمرأة على السواء. عندها نعامل الانسان على انه يملك الفكر والاحساس والحرية، ولا نفرق بين الرجل والمرأة فنحقق المساواة وتتأمن الحقوق .

القلب الحزين

إنسان حرمته الأقدار من الكثير، ورغم ذلك نجد في غلس ذاته ألذ ثمار السعادة .

هذا ما كونته لقلمي عن شخص مؤمن بالحياة بما فيها من خير وشر.

في بداياته كانت الطريق وعرة، عاش مع العذاب والألم، وتفاعل مع الاحزان فقلب التعسُ مسار حياته، وصار يطعم الجائع ، ويسقي الظمآن، ويعلم الجاهل، ويشفي المريض. عجيب أمره دمج حزنه مع أحزان الآخرين وراح يساعدهم كي يتخطوا مشاكلهم وهو بحاجة لمن يساعده ويأخذ بيده .

طفولته أليمة. أب ميت وام انانيه وزوج أم متسلط . كل هذا جعله قوياً وصامداً كان يدرس نهاراً و يعمل ليلاً ليؤمن كسوته وغذاءه وكتابه. مشى رغم تعثره في الحفر سار رغم وقوعه في الظلمة. كان يعمل في فرن البلدة ليلاً ويوزع أكياس الخبز لسكانها صباحاً. كان يسمع الإهانات ويتلقى اللطمات، وكان يحافظ على مرتبة لا بأس فيها في صفه . وكان طموحه كبيراً وآماله أكبر تحمل وتحمل فما زادته الصعوبات إلّا جلداً أو قوة . وتخصص في العلوم الاجتماعية. حمل تعسه وقابل الناس حمل آلامه وضحك مع السعداء. عاش في مشكلة كل انسان حتى أصبح نموذجاً بشرياً يحتذى به لخصتُ أيامه بكلمات

لا لشيء وانما أظهر صورة نورانية الا وهي أن الصبر والايمان والتفاؤل وسائل للنجاة من امتحان الحياة المليء بالتعقيدات والتي، بإرادة الله، نستطيع أن نبسطها . فصاحبنا يعتز بأنه عصامي وبأنه صنع أشياء من لا شيء .

آخر مرة رأيته فيها كان يحاور بائعاً صغيراً فكان حديثهما ودياً لدرجة انك لا تصدق أن صاحبنا أستاذ جامعي والبائع طفل صغير .

بادره قائلاً: انا كنت مثلك، تعلمت وعملت حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم. لا بأس بالعمل ولكن يجب أن تذهب إلى المدرسة. والعجيب بالأمر أن الطفل كان مصغياً ومتفهما لأن صاحبنا يتكلم بلغة الطفل المظلوم الذي بداخله. وفعلاً اتفقا على أمر وهو ان الفقر والحاجة لا يشكلان عائقاً في مسيرة تقدم الإنسان وتطوره .

رسالة من القلب الحزين الى القلوب الندية التي لم تجد مُسانداً ولا مهتماً من صاحبنا إلى الاطفال العظماء: اعملوا كثيراً وتعلموا أكثر، حتى يقضي الله امراً كان مفعولا.

الاعتقاد الخاطىء

قريتي صغيره، اخضرارها كثيف، وطبيعتها خلابة أبدع الله في خلقها. كل شيء فيها خضع لسنة التغيير بفعل الزمن والتطور والحداثه، إلا المفاهيم المذهلة والاعتقادات الخاطئة التي ما زالت تتشعب في أعماق نفوس قاطنيها.

منذ سنوات عديدة وعلى مر أجيال كثيرة، تتوالى المصائب وتتكدس المآسي. فمن عدائيات الثأر، الى قضايا الشرف والى حوادث مفتعله، وكل ذلك مصالح فردية وأهداف مادية. والنتائج طبعاً قتلى وجرحى ومصابون وكراهية وبغضاء وتشرذم في نطاق أهالي هذه القرية الذين يعودون في جذورهم الى جد واحد ويعيشون على أرض كريمة وتحت سماء سخية.

فمما لا شك فيه انها مشكله عظيمه ولكن الفظيع منها اعتقادهم بأن مجريات الأمور السيئة تعود لسبب واحد وهو أن ساحة الضيعة كانت قديماً مقبرة دفن فيها "الولي الصالح"

وهذا الولي حلّ لعنته على القرية ولن يرفعها إلا بإعادة الساحة اليه، حقه الشرعي كما يزعمون،و بحسب تصويري للأمور أعتقد ان الأخطاء الواجب الاعتراف بها لتصحيحها عبر الزمن تسمن وتتعاظم اذا ما ابتعدنا عن أنفسنا وعلقنا الخيبة والفشل اللذين مني بهما هذا

المجتمع الطيب، على شيء ربما هو من الصحه بمكان وانما الله الخالق القادر يرحم البشر فهل نأتي على عبد مثلنا مخلوق نحمله أهمية أكثر من الله لماذا ؟ ممكن ان الأجداد ارتكبوا الأخطاء وحولوا المقبرة الى ساحة تدوس عليها الأقدام، ويجتمع فيها الضالون والجاهلون، وإنما هناك حقيقة أكيدة وهي أن الله سبحانه وسعت رحمته كل شيء يغفر الذنوب ويمحي الخطايا. فلماذا ننسى الأخطاء الكثيرة التي نرتكبها اليوم ونركز على مشكلة قديمة لا ناقة لنا فيها ولا جمل؟ والحق يقال ان النيران تطفئها المياه، وان الكراهيه تلغيها المحبة، وأن التفكك يبعده التلاحم، وأنّ الظلم تبعده العدالة، وان الظلام تبدده الانوار.

فهلموا يا اهلي وانتفضوا وافنوا الضعف واستندوا على قوة الايمان والسلام والعمل ...

مجنونة قيس وعاشق عبله ...

سمعت الكثير عن قصص الحب وروائع العشاق إلا انني لم اصادف أغرب من قصة عاشقين مجنونين، لكل منهما موقف من الآخر.

هي مغرمة به، تحبه، تعشقه، يشغل بالها وتفكيرها، ويملك قلبها، ويستحوذ على عقلها، وهو لا يعرف شخصيتها ولا حتى من تكون . وهو عاشق ولهان بفتاة أخرى يسعى وراءها، ويحاول ان يلفت انتباهها ويسعى جاهداً كي يكلمها ويتودد اليها فعلاً. الحب بهذه الطريقه مرض تجب معالجته، فما معنى إذاً انها تذوب حباً به وهو يغوص بمشاعره بأخرى تعجبها شخصيته، نظراته، حركاته، وتلفته رقة وانوثة ونعومة الأخرى تفكر به في كل دقيقه لا بل في كل ثانية ويستحضر صورة الأخرى في كثير من أوقاته تراسله بنظرات تعود اليها وتجد له مبررات كثيرة، وتتوالد في ذاتها التمنيات، وتتكاثر في روحها الآمال، وتعاتبه بصمت وتحادثه بجدية، وكأنها تستحضر روحه . وطبعاً هو يسعى إلى محبوبته.يا لظلم الأيام! هي تعلم انه يحب أخرى فما يزيدها ذلك إلا حباً وعشقاً له .

حاولت أمها ان تخرجها من المرض النفسي الذي اعتقدت انها تعاني منه، عن طريق المشايخ الأولياء والصالحين، إلا ان محاولاتها باءت بالفشل، فما اعتقدته امها لطشة جان أو سحر ساحر أو كتاب

حاسد هو حالة حب ميؤوس منه. لا أعرف اذا كان الانسان نفسه المسؤول عنه ام انها لعنة القدر.

لقد انتحر عندما رفضته عبلة لانه اختصر عمره كله في علاقته معها...

وهي ما تزال حية الا انها فرضت على نفسها سجناً إسمه قيس. أعتقد لو علم هذا الشاب بحجم الحب الذي تحمله تلك الصبيه لما انتحر، وهي لم تحاول حتى ان ترسل اليه رسالة الحب والعشق والغرام التي كانت تحملها له في قلبها، ومع الأسف وقعت المأساة مع العلم ان الحب هو الحياة، والحياة بداية مشوار ...

ام علي الحطاب

تعيش في زمننا وتحيا في بيت مجاور لبيتنا عجوز معمرة حنت السنون ظهرها، واشتد الوهن على محياها، فبدا وجهها كتلة من التجاعيد ، مشيتها ثقيله وحركاتها بطيئه، ورغم ذلك تنفذ الأوامر وتلبي الطلبات، فهي حتى اليوم تنجز أصعب الطبخات. وتقوم بادق الاعمال لترضي ابن العم الزوج المتطلب والملحاح والمتذمر والمتأفف. كنا في شهر رمضان وكنت انتظر موعد آذان المغرب وسماع مدفع الافطار على الشرفه رأيته يحمل كيساً كبيراً ويدخل به على زوجته. ولشدة "حشريتي" نزلت الى جارتنا فحييتها. وردّت التحية بسرعة وطلبت مني أن أدخل المطبخ معها. أتعلمون علامَ يحتوي هذا الكيس؟ انه الرأس الذي جلبه أبو علي لزوجته كي تنظفه وتطهوه ليأكله وقت الافطار .

عجبت للأمر ولم أخف استغرابي. لم ترد ولم تشكُ، بل قالت: يا رب وشرعت تنظف وتحف وتقص وتشذب وتضع الطعام في طنجرة كبيرة مليئة بالماء، ثم تشعل تحتها ناراً. وعندما هممت بالرحيل طلبت مني ان أحمل وعاء الطعام المحضر الذي لم يقتنع به زوجها المصون. ذهبت وعندما كنا نتناول فطورنا سمعنا طرقاً على الباب فتحت فاذا بها تحمل طبقاً آخر من طعام ابو علي المميز شكرتها وتعجبت لسرعتها في التحضير .

فلو كانت من جيل نساء اليو م لرفضت ورفست وقلبت حياته جحيماً.هل عرفتم لماذا؟ كانت البركة تحيط بأرزاق الاقدمين، والخير يعم حياتهم، كل هذا بفضل المرأة المطيعة الراضية والقانعة. فاعتبرن يا نسوة زماننا من ام علي الحطاب التي كانت تقوم بواجباتها الزوجية والمنزلية على أكمل وجه، وتحضر لزوجها القضبان كي يربيها إذا ما ضلت، او اذا ما أخطأت. هل هو الحب القوي والأعمى؟ لا استطيع ان افسر تصرفاتها على غير هذا النحو وأكره ان يقال: استعباد وظلم واستغلال .

الوهم واليـأس والألم

ها أنا أبحث عن أوراقي الضائعة في جوارير ذكرياتك الخجولة ، وألملم أشلاء قلبي المبعثرة من ميادين صومعتك المشؤومة، وأجمع شتات أفكاري الحزينة من بساتين أحلامك المشوّشة. وأرجع انا وعواطفي وشعوري وخيالاتي وأفكاري واحلامي قانعين مستسلمين لإرادة اقوى من إرادتك، وخاضعين لمشيئة أعدل من مشيئتك ...

يا لعظمة الانسان الفارغة، ويا لكبرياء الانسان الذي لا معنى له، ويا لغروره الكريه!

للحظة واحدة تطير الأملاك، وتتغير الثوابت، فيقعد هذا الانسان ملوماً مهجوراً ...

وعندما تضيق به الدنيا يخرج منها بالجنون، أو بالعته، او بالسفه، أو حتى بالموت...

هذا مصير أكيد للانسان الظالم والمتكبر...

عندما ضاقت بي الدنيا، وسيطر الموت على أفكاري، لا كفراً بل ايماناً، وعندما هاجمت المواعيد داري، وارتاحت، العصافير على أشجاري، لا تعباً بل راحةً، وراحت تبكي وتنوح وتنادي وانسابت مياه ذاتي حتى صارت أوراق مكتبتي مبتلة لا بالدموع بل بالمياه. وضاعت حروفي وكلماتي، لا كراهية بل طوعاً وعادت أيامي إلى الربيع تغني بين التلة والوادي ولما جاءت ساعة الوداع وقفت

الحياة وهربت الدموع والأحزان، ورقصت الأفراح، وانتهت قصة الاستعباد. قصة الحب، قصة الظالم والمظلوم ...

وانتهت قصة عذابي وبدأت رائعة الزمان، وتحطمت المآسي والآلام، وماتت قصيدتي برحيل أوجاعي، وأبحرت في عالم النسيان.

أرسل له هذه الهمسات الخريفية، وليسمعها من يشاء من الذين يتوهمون بأنهم قادرون على قهر الآخرين وإذلالهم والحط من كرامتهم واحتقارهم، فلا الضعف من صنعنا ولا حتى القوة. فلا قوته ساعدته ولا ضعفي خذلني، وكل واحد منا ترك للتيار الحق في تحديد مصيره . كانت تضع رأسها على الطاولة وتقوم بحركات، تحرك يداً واحدة صعوداً ونزولاً .

حاولت ان تخفي جريمتها إلاأن حيلتها صغيرة مثل عقلها. نظرت المعلمة بنظرات شريرة وصرخت بأعلى صوتها، فانتفضت من مكانها صوب اليمين، وطارت المنقوشة صوب اليسار، وسط ضحكات مندهشات. طلبت منها المعلمة ان تتقدم هي والمنقوشة، فأبت وأجهشت بالبكاء، فأقبلت اليها تؤنبها وتعاقبها فرأت العجائب: كومة دفاتر مبعثرة، بقعات الزيت ظاهرة عليها رزمة كتب مغطاة بالسمسم يدان ملطختان بالحبرالاسود وبالزيت وبأشياء أخرى وخدود لا تستطيع أن تحدد المزيج اللوني الذي اعتلاها أحمر، أسود، بني. طويلة كالنخلة لذلك هي في المقعد الاخير. ووسط كلمات المعلمة القاسية وانفعالات الغضب القوية دافعت الشقية عن نفسها: وانا في طريقي اشتريتها، وما ان وصلت الى الملعب حتى دق الجرس، وكنت جائعة فانا حتى لم أتعشَ بالأمس فقررت ان آكلها سريعاً ثم انتبه الى الشرح لأنني لا استطيع أن افكر ومعدتي فارغة صدقيني والله.

أرجوك لا تقولي لأمي فهي حتماً سوف تعاقبني مرة اخرى. أمرتها ان تخرج من الصف لتنظف وجهها ويديها. بعدها تعيد ترتيب دفاترها وكتبها وتنظف الطاولة وترمي المنقوشة. انتفضت واسترجعت قواها وراحت تتوسل المعلمة لتبقيها معها، فهي لن تأكل إلا في الملعب.

رائحتها اخترقت قلبي، طعمها إستقر في فمي، وانا لا املك نقوداً لأشتري غيرها، فكيف تطلبين مني ان أرميها؟ حرام عليك انا جائعة. وغرقت في بحر من الدموع الكاذبة، وباءت محاولات المعلمة بالفشل، ولم تهدأ الا وهي واقفة في الممر تلتهم المنقوشة الفارغة من الصعتر والسمسم، وتعض عليها وتبتلع اللقمة سريعاً فما ان تقطع جزءاً صغيراً حتى تقبل على آخر، ولم تطمئن إلا عندما وضعت الجزء الأخير منها في فمها، وراحت تركض نحو المغاسل لتغسل يديها وتدخل إلى الصف لتحضر شرح درس القراءة بعنوان «الرغيف».

في قلب الام أيهما اقوى الامومة أم الأخوة

الكراهية والحقد جعلاها خائفة خاضعة تتوارى في ثوب من الاستسلام لمشيئة الله، الا انها تحبس موقفها الرافض بأعمال سلبية حتى انك لتخالها صخرة صلبة قوية لم تقدر رياح العداوة بين أهلها وزوجها وابنائها أن تفتتها.

قديرة قوية تلك الأم التي عاشت مع زوجها وأولادها وربتهم وساعدتهم كل هذه السنوات وهي تحمل في قلبها نقمة على نفسها ربما أو على القدر الذي زجها بين الابن والأخ، فهي لم تختر بل فرض عليها، وكانت على قدر كبير من المسؤولية.

اختارت رسالة الامومة. ابنها قتل أخاها. مشكلة ربما إنتهت مع مرور الزمن في أذهان الناس، وخصوصاً في عقول أصحاب الشأن، إلا انها لم تنس فبقيت تعامل ابنها ببرودة تحبه لا تنكر ولكن الدم الذي يجري في عروقها هو نفسه الذي سال من جسد أخيها عندما قتل على يد ابنها. عندما سمعت الأحاديث والأقاويل عنها قلت: هي اختارت واحترمت اختيارها، ولكنني أنكرت عليها هذا الجمود الأخوي ولكن عندما رأيتها توضحت لي أمور كثيرة. هي احبت اخاها وما تزال ولكن هل تستطيع ان تترك طفلاً او أطفالاً غرسوا في عقولها وقلوبهم ونفوسهم، حب الأرض المزيفة والويل لمن يقترب من حبة تراب ربما يملكونها وربما لا يملكونها. ولكن المشكلة ما تزال تتشعب جذورها في

اكثرية القرى مشكلة الارض والارث والحق الضائع ، ولا يحل مثل هذه المشاكل الا قانون القتل: إما أن تقتلني أو أقتلك! هذا هو الحل الوحيد لكي يبقى للأرض مالك واحد!

نعود إلى تلك الام التعسة. قاست كثيراً، وعانت الأمرين، وتابعت مسيرتها مع أولادها الا ان قلبها يتفتت حزناً وقهراً على اخيها الذي مات قتلاً على يد ابنها، فهي لا تحضر افراح أولادها، تحبهم وتساعدهم وما تزال تعمل من اجلهم الا ان لتضحيتها حدوداً تقف عندها. تشعر من تثاقل الكلمات التي تتفوه بها صعوبة موقفها الحرج . تباً للضعف البشري الذي يتوضح أمام الماديات .

احترمتها كثيراً، واحترمت أمومتها، وعشقت العلاقة الاخوية التي ربما لم تعرف أن تعبر عنها، الا انها صورة حيه وواضحة للعلاقه الأخويه بكل ما تحمل من معاني سامية ونبيلة .وفقها الله وأعانها وأطال بعمرها، سيدة تمارس أمومتها ولا تنسى أخاها ما دامت حيه ترزق .

الضعف البشري مبرر معقول لأناس يقومون بأعمال شنيعة وأعمال فظيعة.

جرائم ترتكب بحق البشرية، ومظالم تفبرك من قبل قلة من الناس لبقية خلق الله. وهذه حالة عامة صالحة لكل زمان ولكل مكان.

ان تقتل انساناً افضل بكثير من أن تتلذذ بتعذيبه، واذا سمحت لنفسي في ابداء رأيي الانساني فاني اقول إن المرء الذي يستقوي على طفلة قاصرة ضعيفة لا يستحق أن يكون حتى حيواناً، لأن الحيوان، بقانون الطبيعة، يشعر ويحس واذا ما خرج عن نطاق الألفة فإما لأنه جائع او لأنه يريد إطعام صغاره.

امرأة شابة مثقفة متعلمة متزوجة، واذا ما درست حالتها الاجتماعية فتقر لها بوضع لا بأس فيه من الكفايات المادية والمعنوية على السواء. ولكن يا لجوامح الشباب الذي إنزلق في زمني في متاهات الوحشية. في خنادق الفراغات المغلفة بالقساوة وبالظلم وبالعدائية متزوجة ولكنها شاذة، غنية ولكنها متطلبة، متعلمة ولكنها جاهلة.

جاءت بفتاة صغيرة لا تتعدى العشر سنوات لتكون خادمتها.

وكما ذكرت فإنها لا تعاني من نقص في الامور الأساسية لحياتها، ولكنها تملك نفسية معاقة. ضربتها أحرقتها. قصت شعرها. وتوالى التعذيب حتى فقدت تلك الطفلة القدرة على المقاومة،

فنقلوها الى المستشفى، وهناك انكشفت الامور. وجاء أهل الطفلة الذين يستغلونها من أجل حفنة من المال حتى الهررة تدافع عن صغارها...

تلك المرأة شيطان بصورة إنسان، بصورة وحش أنيق. دخلت المدنية الى خزانتها، والى أثاثها، والى بيتها، ومطبخها، ولكنها بالطبع لم تدخل عقلها. كما أن الايمان لم يلامس جدران قلبها المتحجر. أعان الله الفتاة الضحية التي قاومت، وستستمر في حياتها رغم كل العذابات التي عانتها.

بالسرقه والاستهتار والكراهية ام بالأمانة وبالمحافظة وبالمحبة تبنى البيوت ؟

أسرار البيوت تحفظ ولها مكانة عالية في العلاقات الانسانية، فالانسان الذي يحاول ان ينشر الحقد في أرجاء بيته، ويبث التفرقة بين افراد عائلته هل هو انسان محسوب على البشريه ام أن افعاله اقرب الى الحيوانات منها إلى الناس؟ حتى الحيوانات تراها تحنو على اولادها ضمن قانونها الخاص. هي انسانة كالمياه الراكدة، خالفت سنّة الكون في التغيير والتقدم فبقيت تدور في فلك ذاتها، لا تحب إلا من يوافقها رأيها، وتكره حتى موت من يخالفها. تزوجت من ابن عمها وهي تحمل مع جهازها تركة نفسية كبيرة بحجمها، دنيئه بقدرها كرهها أهل الزوج عمل كل ما من شأنه ان يهين ويحط من قدر عمها واولاده. دخلت والغل يملأ قلبها انجبت وربت وصارت جدة وبقيت نفسها آسنة بغيضه.

كل فرد من عائلتها يحمل الصفات التي لقنتها له. أمثلة بسيطة: الانانيه تسيطر على الجو العائلي يسرقون بعضهم البعض، إذ ما ذهب أحدهم ليشتري اغراضاً للمنزل الا اشترى بنصف النقود واحتفظ بالباقي لنفسه. واحدهم يسرق من الآخر، وهكذا دواليك. والمغفل الوحيد في البيت هو رب الأسرة فهي سحرته او بالاحرى اقنعته بوجهة نظرها المدمرة .

بيتها يجمع الكثيرين، واللغو المقيت سيد الموقف قال قالت لا

بل قلت وقلنا و . . .

المظاهر تحكم مبادئهم، والخداع هو الشعور الوحيد الذي يجمع هذه العائلة، وهكذا عاشوا ويعيشون. تدعي ان الغرباء سرقوا الجواهر والنقود والحقيقة أنها باعتهم او تصرفت بهم، وتوهم زوجها والجميع بأن النقود التي تعطيهم إياها قد وفرتها وهي قديرة وقويه .

مرات ومرات حصل هذا الامر أحياناً وعندما تشعر ان الامر سينكشف، تذهب الى السحرة والمشايخ والمشعوذين ليكشفوا لها أين وضع السارق المال أو المسروقات وبسحر ساحر تظهر المسروقات؟ في الخزانة أو في كيس او في أي مكان آخر .

غريب أمرها فهي لا تمل ولا تكل، أعمالها مسلسل أميركي هوليودي على مدار سنوات طويلة . آخر انتاجاتها انفصال ابنتها الصغرى عن خطيبها بسبب التوجيه الخاطئ الذي وجهتها اليه. تربيه خاطئة، كلام بذيء، أعمال شنيعة، وتصرفات بشعة تلقتها الفتاة في منزلها او بالاحرى في النبع الذي لا ينضب من العطاء الدائم من امها.

وتركها بعد شهرين، وجن جنونها، فهي قد خالفت الجميع من اجل ارتباط ابنتها بهذا الشاب لا لشيء فقط لتخالف، ولأنه غريب غرّها الشكل الحسن والسيارة الجديدة والوظيفة المبتدعة.

ها هو عقاب الحياة للأم فما ذنب فتاة في السادسة عشرة ربيعاً ان تتعرض في بداياتها لهذه التجربه الفاشله ولو انها لم تتعلق

فيه لكان الامر أسهل الا انها قد تعلقت به كثيراً بمساعدة الام المصونة التي بدل ان تسعى لتحسين الموقف طلبت شريعه لتحصيل شرفية ابنتها، وعالجوا الخطأ باخطاء كثيرة ، ربما سيكون هذا درساً تتعلم منه هذه المسكينه أو ربما سيكون حافزاً لتعزية حقدها وكراهيتها حتى لنفسها...

ملاحظه: كلمة صدق اقولها انا اشفق على هذه الام، وعلى هذه العائلة وآمل ان تصحو يوماً وتذر كل ما يسيء للانسانية من جرائم فظيعه، وانا لا احقد على احد ولا بنيتي ان أؤذي أحداً بل بالعكس أحب ان تنشر الحقائق بصورة عامة لنستفيد منها جميعاً فنتجنب اخطاء الغير ونتمثل بكل الحسنات التي تبني الانسان ......

تريد عريسا ايا كان الثمن

بسيطة جداً، ساذجة كثيراً، تعيش في دائرة منغلقة كبرت في جوّ من السيطرة والنفوذ والتحكم، فامحت شخصيتها، وبقي القليل من العنفوان، وشيء من الارادة الضعيفة، فصارت مخيفه بتصرفاتها.

أحبت الراعي المتزوج الطاعن في السن مع احترامي لكل انسان، ولكنها احبت نموذجاً بشرياً شنيعاً فهو يستغلها تحرم نفسها من الطعام لتعطيه إليه. تسرق لتقدم له ما يريد تباً للنفس البشريه تجترح المعجزات! وفي نفس الوقت تهدر الكرامات وتؤدي بالانسان الى التهلكه .

لماذا يقودنا الضعف البشري و الحاجات البعيدة المنال الى المهانه والمذلة والاحتقار؟

تدعي انها مظلومة فهي تخدم والديها، وأمها مستبدة، يومياً تتلو عليها كلمات مؤذية تحط من قدرها ومن قدر الانسان، حتى انقلب ضعف تلك الفتاة تحدياً لا يوجد إلا عند الحيوانات، فصارت ترغب بالهروب فهي حتى لو لم تجد السعادة مع الراعي إلا انها تتخلص من الجحيم الذي تعيشه مع والدتها الظالمة المستقوية. راحت تقابله في الأحراج وتدعوه الى المنزل في غياب والدتها. وتتودد اليه وتعطيه كل ما يطلب: ثياباً طعاماً حتى الراديو وغيرها من الأشياء التي لا يطلبها من

فتاة إلا كل محروم وكل دنيء ... هنا تنحر العزة وتغتال الكرامة في الذات البشرية ...اعطته صورة وعرضت عليه الرحيل معه، وقبلت أن تعيش مع الماعز لا تريد الا الارتباط به أياً كان الثمن ...

عرفت والدتها أخيراً فأرسلت اليه تهدده وتشتمه، فأجابها أبعدي ابنتك عني، فهي تسعى ورائي. الفتاة تقول ان الأم لا تريد ان تزوجها لتبقى خادمة عندها، وتقوم بواجباتها نحوها، والام تقول لا أريد ان ازوج ابنتي رجلاً متزوجاً لا بل منحطاً ... رائحة الماعز تفوح منه على بعد عشرة امتار ...

بما انني لم اسمع إلا قول الفتاة فلا أستطيع أكون حكماً بين الأم وابنتها، انما كلمة اقولها الفتاة بحاجة الى الرعايه بأي حالة كانت طفلة مراهقه عزباء متزوجة عانساً عجوزاً.

وهي أكثر مخلوق يستحق العطف والحب والحنان، وهذه الفتاة لو ان نفسها عامرة بالايمان وبالمشاعر الحقيقية لما خطر ببالها ان ترخص بنفسها التي كرمها الله وعززها ورفع شأنها وجعلها أفضل المخلوقات على الاطلاق.

رأي حر

ها هو الخريف قادم بهوائه المنعش، وبأمطاره المعتدلة، وبطيوره المسافرة، انه الزمن المحيي، والوقت المجدد، والأجل المستمر، انه البداية والنهاية.

هو راحة للبعض وعمل للبعض الآخر، وتعب للأقلية من الذين يعشقون الشمس ويتمنون أن يطول الصيف بجفافه وحره ولهيبه وانطلاقه بعيداً عن العزلة والتفرد والانطواء .

مهما اختلفت الآراء حوله الا أننا جميعاً ننعم بكرمه، فهو بشارة الخير وإعلان البركه. وهو فصل الانتقال من الأيام القاسية الى الساعات الحنونة والدقائق العطوفة. عام دراسي جديد يجتاح مجتمعنا، والكل يعاني من الازمة المعيشية كما يرددون المتطلبات العديدة والقرن هو الواحد والعشرون والمدخول أدنى من المصروف، والاعمال مجمدة، واذا وجدت تعطي مردوداً بسيطاً لا يكفي حاجة العامل، والجميع يتساءل ما العمل ؟ والى اين نتوجه؟ مصاعب ومصائب وأحوال ومخاوف تربض فوق رؤوس الأهالي، فالحيلة رحلت، والحلول اختفت، حتى القوت أصبح مشكلة، والوقود أيضاً، فما بالك بالكساء والماء والبرد القادم والعطش ايضاً فالمياه ملوّثة، والمسؤولون يكتفون بعرض المشاكل وبث الحلول، بدون اخذ المبادرة او القيام بأي امر من شأنه معالجة الأوضاع القائمة.

اللبنانيون يترقبون قدوم الوزارة الجديدة، مع التذكير بانه لا احد يملك العصا السحرية التي تقلب الامور رأساً على عقب، ولكن الأمل كبير بزحزحة المشاكل تمهيداً لحلها. فالقوة تكمن في ذاتنا ونحن حولناها الى ضعف عن طريق تحويلنا إلى مجتمع مستهلك لكل شيء، حتى الافكار. قفوا جميعاً وتحدوا بقوة وعناد وصرامة الوضع القائم ولنعلنها ورشة أعمار للبشر وللحجر مع مراعاة التطور التقني والتكنولوجي الرهيب لمسايرة شعار العولمة الذي ينبح به الأكثرية في مجتمعات العالم الغربي، فأنا أكره أن أقول المجتمع المتطور والمجتمع البدائي فالتطور هو السمو في النفس إلى الأعالي والبدائية هي بجعلها في الدرك الأسفل من البذاءة والحقارة والانحطاط، الجنس العنف، الماديه أمور تستحوذ على مجتمعاتهم ونتأثر بها حتى أننا نسبقهم أحياناً بمخالفاتهم البشرية تلك .

يا أبناء المجتمع العربي : قوتّكم تكمن في أرضكم وفي عقلكم، فلماذا تتنازلون عن عطاءات الله لكم للغرباء الذين يسرقوننا ونستعطيهم القمح الذي نصنع منه الرغيف. جمدتم عقولكم فاندحرت العبقرية إلى غير رجعة، وبتنا نستقي الصرعات والهيصات ونلقنها لأبنائنا الذين لا ذنب لهم إلا انهم ولدوا من آباء يهوون التنازل عن حقوقهم المشروعة ويحبون الذل بكل انواعه، وكل هذا في سبيل اغراءات لا تثير إلا الحيوان البشري وتحقق له راحة مزيفه ونشوة مؤقتة ريثما يفيق على واقع الخراب والدمار النفسي الذي ساعد كل منهم في وصولنا اليه، قوموا واعترضوا على الواقع الحالي وادعُ الى

التغيير الشامل والكامل لكافة طرق معيشتنا حتى ولو بدأنا بالرقم صفر، فالأنطلاق بالعمل لتحسين أوضاعنا بخجل خير من بقائنا وراء الأمم لا بل في نهايتها.

النهايات والبدايا ت

أمس كنت أتأمل الطبيعه في آخر أيام الصيف وتحديداً وقت الغروب وكنت على وشك ان اقارن بين لحظات الشروق ولحظات الغروب وسرعان ما بادرت الى ذهني جملة أفكار غريبه مدهشه .

لاحظت ان هناك رابط قوي متين بين البدايات وبين النهايات لا بل أكثر من ذلك فالنهايات تستحق الفرح والسعادة والبدايات الحزن والتعاسه .
حقائق تستحق أن تعرف من الناس جميعاً . فعندما يولد الانسان يغرق منزله بالتهنئات وبالمباركات ونحن نعلم انه سيواجه في حياته المتاعب والمصاعب والمشاكل الى حد بعيد. وعندما يموت نقدم التعزيات والمواساة ونحن نجهل ما سيواجه في حياته ، أو بالاحرى ندعي اننا نجهل ولكننا نعلم حق اليقين انه بعد موته اصبح في ذمة الله وفي رحمته التي وسعت كل شيء .

فعشقت الغروب وخواتيم الأعمال ونهاياتها وغصت في ما بعد الموت عرفت انه الاهم والاحسن والافضل خاصة وانني مقتنعه تماماً لا بل واثقه كل الثقه بأن الله سيكرمنا وسيحيينا في جناته الواسعه وسيغفر لنا خطايانا وسيكرم مثوانا .واجمل دقائق حياتي هي الدقائق التي أمضيها بالعبادات وأحلاها تلك التي امجد فيها الخالق البارىء المصور وانا انعم حواسي وأفعم روحي بالشمس والشجر والماء

والهواء في كل الحالات والتقلبات ومع الفصول جميعها ...

الخاتمة

ها أنا أعود إليك قلمي وما أبعدني عنك إلّا العمل وحبي لك وحدك فأنت ملهمي وقائدي وكلماتك إن شاء العزيز القوي سوف تكبر وتكبر وتسير في عقول الأجيال وتنمو لتصبح أفكاراً متأصله في النفوس وأعمالاً منجزة في المدارس والبيوت .

قلمي شوقي اليك عظيم وولعي بك كبير فعندما أتناولك أشعر وكأن احداً يحملني ويعلو بي ويطير ويوصلني الى عالم الفضاء والأساطير حيث الكواكب تشع وتنير فما بالك بعالم يخلو من كل ما يخطر على بال او تتصوره العقول وأنت والنور تستقلان في أمكنة حيث تختفي الأماكن وتنفردان في أزمنة حيث يتوحد الزمان فلا الماء ولا الهواء أسس الحياة فقط الشعاعات التي تفترشك وتغطيك وتحميك من الأمان وتقيك من السلام وتنتشر في عروقك حتى يصبح الدم دخان وغيمةٌ مرسومه في الآفاق البعيده .

ويصبح القلب حياة وروح في الآماد السعيدة ويبلى الجسد وتفنى المادة .
وأعيش ورائي ظلمات وعتمات وأمامي شعاعات وأنوار .

الفهرس